
السلامة
الخطر

أمَانُ المَنَازل

لواء.م/ عبد الرحمن أبكر الياسين

دار التقوى للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥

دار التقوى

١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الياسين، عبد الرحمن أبكر

أمان المنازل، الرياض/ عبد الرحمن أبكر الياسين، الرياض ١٤٣٥ه

ص ١٧ × ٢٤سم

رقم الإيداع : ردمك : × - ٠٠ - ٨٧٨ - ٩٩٦٠

١-　　　　٢-　　　　أ- العنوان.

الطبعة الأولى

١٤٣٦-٢٠١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من يرنو إلى سلامة منـــزله ...

إلى من ينشد الأمان في مسكنه ومكان عيشه ...

إلى الباحث عن طمأنينة داره

إلى المتطلع إلى سكون القرار وسلام المقام

أهدي هذا الكتاب .

دعاء من القلب

سلام الله على البيوت كلها من مفجعات جلها أو بعضها
سلام عليها من غول المحدثات- وبهتات المفجعات
اجعلوها سالمة بيوتكم غانمة- مثابة وهجعة.
هلا أعددنا عدة سلامتها قبل أنْ يجتاحها ما يسلب هدئتها ويعصف بسكينتها

مقدمة

ما فتئ الإنسان يكافح كفاحًا مريرًا في خضم معركة صراع دؤوب من أجل البقاء؛ سعيًا منه لنيل استحقاق العيش يقيم أوده، يسد رمقه، يوفر قوته؛ يستتب أمانه لتستقر حياته ويسعد حاله متناغمًا مع من يأنس إليه ويعايشه ويستأمنه على نفسه وما ملك .

ولكي تستقيم حياته ويستوي صراعه ، فكان أول ما فطن إليه من مسوغات البقاء توفير أمان الحال وسكون المقام، الذين يبدأ منهما رحلة الانطلاق لبناء ذاته وممارسة نشاطاته ، لتتسلسل تبعًا له أمانات مترادفات: كأمانه المعيشي، وسلامة محيطه الأسري ، وتأمين مركزه المادي والمعنوي والنفسي ، سالمًا من خطر ، آمنًا من ضرر ؛ منصرفاً إلى ما يؤمِّن مستلزماته ويلبي رغباته وإشباع غرائزه ، يتحرك لكسب عيشه، آمنًا بأمان الله، الذي ظل ولا يزال من أبرز منالات البقاء ؛ تكريسًا لمعنى حب الحياة.

فحب الحياة يعني التشبث بها ، ومن أبجديات حبها أن يهيِّئ الإنسان لنفسه منزلاً يأوي إليه ، يتغمده مع زوج يسكن إليه ، يمارس فيه خصوصياته ، ويلقَى فيه راحته مع أسرته التي يكدح من أجلها ويكابد المعاناة في سبيل إسعادها.

ولهذا أتت سلامة المنازل على رأس متطلبات الأمان ، وظلال الاستقرار، ومآل الاطمئنان على الأنفس والأموال .

وغنيّ عن القول أن البيوت لم تحظ إلا بنزر ضئيل من نصيب السلامة، مما جعلها تستحوذ على قدر كبير من إحصائيات

الحوادث مقارنة بما سواها، وأنكى ما فيها أن أكثر ضحاياها من الأطفال وصغار السن في مقتبل العمر.

فبعض الحوادث–التي أنا شخصيًّا كنت شاهدًا عليها– تدمي القلب، وتكسر الخاطر، ويغور بها الأسى، وتُذهب النفس حسرة.

وهذا الكتاب –لا أزعم– أنه سيأتي بما لم يأتِ به الأوائل الذين انشغلوا بأمور السلامة وتدابيرها ؛ اتقاء للحوادث وآلامها ، وإنما ما أبغي تسليط الضوء عليه هو أن السلامة في المنازل لا زالت قاصرة ، والنظرة إليها ثانوية خاصة في عالمنا العربي، ذلك ما نهدف إليه بأمل تكريس ثقافة الخطر من قبيل أن لو فقهنا ماهية الخطر عرفنا كيف نتفادى وقوعه لو أعطى أهل البيت قليلاً من اهتمامهم ، وجادوا ببعض التفاتاتهم لاستباق حوادث ما كان لها أنْ تحدث لينعموا بالمنزل الآمن الذي يقوم على عرى السلامة ومبادئها لتأسيس قاعدة معرفية بماهية الخطر وسبل الوقاية منه لتتكون حالة من الاستعداد المسبق والتخلص من الاتكاء على الصدف والبحث عن السلامة بردود أفعالٍ قد لا تجدي نفعًا إن لم تكن قد وضعت في الحسبان من قبل. فلو يسأل الشخص نفسه: ماذا لو وقع حادث في منـــزلي؟ كيف سأواجهه؟ وإن لم أستطع السيطرة عليه ، ماذا ستكون نتائجه؟ سؤال وجواب وتصور نتيجة.

هذا السؤال سيكون مفتاح دخول إلى بوابة السلامة ؛ ليجعلها غاية بناء وتحصيلها هدف حياة ، يضرب لها ضروب العناية ، وتقام لها قامات الوقاية لينعم المنزل بأمان يشع فيه الاطمئنان ويلفّه الأمان ، يستحق أن يطلق عليه البيت المأمون بأمن الله وقدرته.

تنويه

حسبي أن هذا الكتاب يفتح الباب أمام جمٍّ من المخاطر تحوم حول الإنسان في منزله ، مخاطر غير منظورة تحيط به من حيث لا يدري ، يحسب أنه في مأمن منها ، مما يمنحها فرصة أن تعشعش ببطء ، تتعدد مصادرها وتتنوع أشكالها في غيبة عن توقع حدوثها مع أنها لا تخلو من مؤشرات تظل تتوالى دون أن يحسب لها حساب ولم تتحرك لها المدركات في حين لو دققنا النظر فيها وأعرناها بصيصًا من عنايتنا لوجدنا أنها ناقوسُ تنبيه ينبهنا أن هناك مخاطر تحوط منازلنا ، أفجع ما فيها حوادث الحريق تلك التي يقول عنها المفكر المصري الكبير: عباس محمود العقاد – رحمه الله–: "قسمة الإنسان أن أنفع الأشياء له أضرُّها به وأخطرها عليه. فالنار من ألزم الأشياء للإنسان، لكنها في نفس الوقت تشكِّل معادلة متباينة في حياته".

فهي له صديق حميم إذا أحسن التعايش معها، وهي عدو لدود إنْ أساء التعامل ولم تقم حالة من التكافؤ بين حذر التعايش وخطر الاستخدام ، فالحميمية تنقلب عدوانية إذا لم يحسن الحذر ويصيب التعامل.

فلا يدري أحدٌ متى ستوقعه في شباكها ، ولا يعلم أحد متى تحيطه خائنتها، تصبُّ جامَ شرِّها على حين غرّة في هجعة ليلة أو غفوة قيلولة أو في غفلة غير مدركة ، تندلع في لحظة لم تكن في الحسبان وليس لها ذكر على البال، تُغيِّر الأحوال من سعد إلى شقاء ، مخرجها همٌّ وغمٌّ حزن وكدر.

❋❀❋

مدخل

اقتضت حكمة الباري استخلاف الإنسان في الأرض؛ ليعمر عمارها، ويشيد صروح بنائها؛ لتقام فيها عبادته، ويُذكر فيها اسمه، ويحكم فيها بشرعه وحق منهاجه الإيماني الذي أنزله مع رسله.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[١]

فسخَّر له مكونات السموات لاستغلالها وصرف له مقومات الأرض لاستصلاحها،وتهيئة عناصرها؛ للانتفاع بها، وأوجد له من أسباب العلم ما يطوعها، ومن المعارف ما يهذبها، متجنبًا خطورتها واستبعاد مضارها؛ ليطمئن لتناولها ويأمن تداولها، وليستقصي أقصى منافعها وأوج مشاربها، مُروّضًا حِدّتها دافعاً ضراوتها محيداً شراستها متوخياً السلامة منها؛ كي يدير شؤون حياته ويتدبر مستلزماته وضرورات عيشه .

ذلك أن الإنسان يمثل مركز العملية الحياتية، ومحور دوران فلكها ومكلف بعمارة الأرض ومنجز حضارتها، فهو الذي ينتج وهو الذي يستصلح، وهو الذي يستفكر الأفكار ويستصنع المواد

---

[١] سورة البقرة، الآية: ٣٠.

ويستخلص المنتج ، وفي نهاية الدورة الإنتاجية هو نفسه المستهلك، فهو إذن المنتج، وهو الذي يستنفد ما ينتج.

وهكذا تدور عجلة الحياة التي هو قطبها ليستديم عطاؤها بجهده وما يبذل من سعي وكد ودأب، إنتاجًا واستهلاكًا في أي مشرب من مشاربها، يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [1]

فهو الذي اختاره لإدارة كيان الأرض وعمارتها؛ ليقيم منظومة الحياة على أساس من التقوى والبصيرة، ومن البصيرة تأهيل نظم الحماية، وتشكيل أسس السلامة؛ لكي تسير المسيرة سيرتها الطبيعية وتستوي على عودها؛ ليستدر عطاءها موردًا هنيئًا؛ ويقتات عليها قوتاً مريئاً؛ ليبلغ الغاية الإلهية من استخلافه فيها، فيحيط ذاته وما كسبت يداه بحوائط أمان وسياجات سلام؛ ليهنأ بما سخر له ربه يستهلكها كفاءة وكفاية.

فالإنسان إذن محور العملية الحياتية الآمنة ، ومحرك دورانها ، ومدير طاقاتها ، مشكلاً قوة إيجابية ذات نفع وصلاح وبناء مشيد .. إذا بصر واستبصر.. عقل واستعقل .. رشد واسترشد.

---

[1] سورة البقرة، الآية: ٣٠.

لكنه بالمقابل قد يفقد البصيرة ولا يدرك الغاية، فيتحول إلى قوة سالبة مدمِّرة إذا لم يراعِ أصول وقوانين الحياة التي هي مزيج من سلب وإيجاب، فإنْ طغى الإيجابي على السلبي استقامت الحياة، وإن قام السلبي على حساب الإيجابي سلبت وساءت .

وعلى هذا المعيار يقوم قوامه ، تمثل فيها الإيجابية جوانب الأمان، وتمثل السلبية مهددات الأخطار. فالإنسان أداة قوة موجبة إذا علل معاني الخطر، وأدرك دلائل الحوادث قبل وقوعها وأغلق ثغراتها، فإن لم يتوقَّ منها تبقَ أبوابها مفتوحة، تتهدده مخاطرها، مما يعني اضمحلال طموحاته وهدر قدراته الإيجابية، لتتحول إلى طاقة سالبة تؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على حياته، تستنزف قواه تعطِّل معايشه، وتحيطه سوالبها طالما لم يحط نفسه وماله بما يقيه، ولم يتخذ من الأسباب ما يمنع شرها، فقد تقع منه موقعًا أليمًا يعوق عطاءه أو يعرضه لمهلكه.

من أجل ذلك احتلت السلامة أولوية قصوى على مستوى حياة الإنسان في حركته وسكنته في هدوئه ونشاطه، حين كدِّه أو الخلود إلى راحته، وأينما كان مستقرًا أو متحركًا وفي كل أروقته، وأينما وجَّه سعيه.

وبما أن مشاغل الحياة كثرت والمعايش تضاعفت، جعلت الإنسان لاهثًا وراء مكاسبها مُلاحقًا فرصها يصبُّ جل اهتمامه في اتجاهها مهملاً جانب السلامة التي هي جوهر حياته وناجعة معاشه تستحق أن تنال حظًّا من الاهتمام درءً لخطر وتجنباً لما انشغل عنه حتى وقع ما لا كان يعتقد وقوعه من حوادث تصيبه آلامها

في مقتل أو إعاقة أو عجز يُقعده عن العمل والكدِّ ، حيث كان منشغلاً عن احتمال حدوثها، فلم يُعطها حقها من الرعاية ولم يتمثل قول المصطفى –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في الحديث المشهور:"**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** ... " .

فأين الرعاية للمنزل بعد أن تقع فيه حوادث مؤلمة؟ فهل يعني أنه لم يصن مسؤوليته، أي: أمانته، فمن لم يرعها فقد أضاع الأمانة تجاه نفسه وأولاده ومأمن سكنه. وفي الحديث الآخر "**ابدأ بنفسك ثم بمنْ تعول**". فالإعالة هِمّة ورعاية، وهنا ندرك مدى أهمية السلامة ودورها في حياتنا ، فهي برهان الاستقرار ورهان الأمان في الحلّ والترحال.

ولما كان الإنسان راعي بيته ومن يؤول إليه أمرهم فهو الراعي الأساسي والقيِّم على سلامته، حيث أصبح الخطر يساكن الأسر، ويعاقرهم في منازلهم، تحفّهم الحوادث من جوانب عديدة لا يدركها الساكنون ، فمن مواد غازية وكيميائية وأخرى حافظة، وأجهزة حديثة لا تخلو من خطورة غير منظورة يجهلها الكثير من المتعاملين معها، ويغفل عنها بعضهم أو يستهينون بها، فلا يُعيرونها أدنى اهتمام؛ لمجرد أن مظهرها لا تبدو عليه ملامح الخطر، فيركن إليها دون فحص أو مراجعة أو وقفة تأمل؛ لما تنطوي عليه من أذى، زد على ذلك عدم العناية بطريقة التشغيل، وملازمة الصيانة والنظافة مما يزيد فرص الحوادث من حيث لا يدرى.

والحوادث وإنْ تنوعت ظروفها وأماكن وقوعها إلا أنها في المنازل ذات أثر بالغ ، لأنها تضم فلذات الأكباد ومرتع السكن الأسري والسكون الزوجي الذي أساسه أب وأم هما عماده، تقع عليهما مسؤولية رعايته وتعهده بالمحافظة عليه من محدثات الحوادث، وهي أمانة ملقاة على عاتقيهما تجاه أنفسهم وأبنائهم ومقر سكنهم وأمن أرواحهم، مما يضعها في بؤرة الاهتمام خاصة أنها مأوى أفراد الأسرة؛ لتحصينها ضد ما يهدد راحتهم، ويقيهم غوائل الحوادث ليكون سكنُهم آمنًا، وحالهم مُستتبًا من مفزعاتها.

فاتقاء الحوادث مطلب حياتي في غيابه لا تهنأ الأسرة بمقام، وهي حاجة ملحة لعافية الحياة، حيث ينعدم الأمان في بيت محفوف بالخطر.

ولعل من البداهة الإشارة إلى أن الحوادث المنزلية تأتي على رأس قائمة الحوادث الأكثر إيلامًا لما لها من تأثير ووقْع عميق في النفوس وما تخلفه من خسائر في الأرواح والممتلكات تعصر القلب وتعصف بالسكون وتبدِّد الاطمئنان وتئن لها أنين الحزن.

ومع الأسف فعلى رغم كثرة ما يقع من حوادث مؤلمة في المنازل تذهب ضحيتها أرواح بريئة وتتلف فيها مقتنيات ثمينة، إلا أن الاتعاظ بها شحيح، ودرجة التوقي منها ضئيل، والاحتياط ضدها لم يرقَ لمستوى ما يجب، مما أدى إلى تزايدها، فجعلت البيوت عُرضة لمآسيها، تتربص بها الدوائر في ظروف التهاون وعدم أخذ الحيطة، وقلة الحرص والحذر من وخيمها ، وبرغم ما يقع من حوادث مأساوية في المنازل منشورة ومشاهدة ومسموعة

مدعومة بالأرقام، وشواهد حية مصوَّرة مقرونة بتحليلات من واقع حدوثها، ومع هذا لا ترى حراكًا قويًّا للمبادرة بتحصين المنازل ضد الحوادث واستشعارها؛ لئلا يتكرر ما يحدث في بيت آخر كدرس استوعبه الجار أو منْ سمع وشاهد.

فالصيانة مهملة مع أنها من أهم عوامل السلامة، وتفقُّد أعطال الأجهزة والأبنية ووسائل الطاقة وما قد يقود إلى مضار وتلف يُودي بالأرواح ويخسر المنازل ويُفقدها سكينتها ويُبدد هدوءها، ويحلّ بها الأسى والحزن، فنجد صيانة البيت الإنشائية ومكوناته المعمارية وأجهزته ومواده وأدواته معرّضة للعطب والخراب وضعف الكفاءة والاهتراء، يحتاج إلى صيانة دورية وتفقُّد بين فترة وأخرى؛ لكشف ما يعتريها من خلل أو ضعف قد تسبِّب حوادث تصيب في مقتل؛ فعدم تعهدها بالصيانة يعني تراكم خللها وتفاقم عطلها مما يرشحها إلى وقوع حوادث مؤلمة.

ناهيك عن الأجهزة الكهربائية والسخانات ومقابس الكهرباء وتمديدات التسليك وخزانات المياه وتوصيلات الغاز وأدوات الطبخ وما إلى ذلك كثير، تتطلب صيانة بين آونة وأخرى؛ لقطع دابر حوادث وتفاديها قبل وقوعها.

إذن: السلامة ثم السلامة . والعجب كل العجب من أناس يرددون كلمة السلامة في مآويهم وتقلب مثاويهم، ويسمعون الحث عليها صباح مساء وحين يضحون ويمسون، ومع هذا لا يتحرك فيهم ساكن، فلا تعدو أن تكون كلمة عابرة تتردد لا تلوي على شيء من معناها أو التوقف عندها، بل لا توحي لهم بأي مدلول

يستحثهم ليحققوا على الأقل الحد الأدنى من الحيطة من مخاطر وما يحف بهم من مهددات المهالك، تطوقهم مضراتها من كل صوب.

فإنْ ذهبتَ إلى الكهرباء فخطرها جسيم، وإنْ ذهبتَ إلى المطابخ فهي بؤرة خطر، وإن التفتَ إلى الغاز فهو الموت الزعاف، وإنْ تصورت حريق فذلك أدهى وأمرّ، وإنْ جُلْتَ بناظرك في أرجاء بيتك فلا تعدم أنْ تجد مؤشرًا لخطر أو سبب لحدث.

وإنك لتعجب أن معطيات المخاطر بادية للعيان، لكنها مغفلة التحسب منها والحذر من غدرها. فكيف بمثل هؤلاء يعرفون الخطر فلا يتوقون منه، ويعلمون سوءه فلا يتجنب؟! ولو على مبدأ تقرير الضرورة بقدر الضرر. وهو ما يعني أن نقرر ضرورة مدافعة المضرة قبل أنْ تقع أخذاً بالأسباب.



المنـــزل الآمن

هو المنزل المفترض أنه مُحصَّن بتحصينات تُسْلِمُه من الأذى وتقيه مغبَّات الحوادث؛ ليلوذ به قاطنوه آمنين فيه بأمان الله، مُصانًا من مضرات، مُجارًا من السوءات. وكما أن الإنسان يحصِّن نفسه بأذكار وردت من السنة المطهرة، كتدبير من تدابير الوقاية الذاتية بإذن الله فإنه بالمقابل يمكن أن يُستَلهم مضمونها كأسلوب وقائي لتحصين المنازل بتدابير وقائية من باب الأخذ بالأسباب لوقايتها من آفات الحوادث، فالمنزل يضم أسرة رأسها زوج وقطبه زوجة

يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾[2] ينسل منهما أبناء يضفون عليهم عطفهم ويفرغون عليهم حنانهم.

ولكي تتحقق إرادة الخالق من السكن الزوجي، فلا بد من إعداد المأوى إعدادًا ملائمًا للسكن، يسوده وئام ويُظله سلام، لتصفى المقامة تحت سقف ترفرف عليه السعادة ودفء الألفة، يتقاسمون شراكة المسؤولية نحو منزل سالم من بواعث الخطر يقر فيه قرارهم وتسكن فيه نفوسهم وممارسة خصوصياتهم.

---

[1] سورة الروم، الآية: ٢١.

[2] سورة الروم، الآية: ٢١.

يقول تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنًا ﴾[1] لتسكن النفوس إلى بعضها متعاطفة متراحمة متضامنة في بيت معمور عمارة رغيدة يؤوب إليه ساكنوه، يقيهم بأس الحر والبرد والأنواء ومحدثات الأخطار، فهو مكان إقامة وملاذ راحة وخلوة سالمة من مزعجات، يضوي الرجل مع أسرته مستأنسًا بأبنائه، مما يستدعي أن يكون محل رعاية لاسيما مع التطورات المتلاحقة التي أفرزت مخاطر دخلت البيوت بفضل التقنيات الحديثة في أنماط المنازل وأساليب التحديث ووسائل الترفيه والزينة والديكورات وما يجلب إليها من أجهزة وتجهيزات تتطلب الانتباه لها، فبعضهم يحرص على اقتناء تلك الأدوات وجاذبية منظرها وغاية الانتفاع بها، بينما تتوارى خلفها مخاطر غير مرئية، تجلب ضررًا على مستخدميها، فقد يجد نفسه بين عشية وضحاها ضحية لها؛ لأنه لم يصرف لها شيئًا من انتباهه، راكنًا إلى مظهرها، غير عابىء بمستخفياتها.

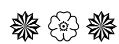
فالأمان البيتي يتأمن بيقظة أهله؛ ليبلغ فيه المرء مأمنه، ويحصّل سلامته، فهو أمانة في الأعناق، وفي كل بيت ما يوحي بوقوع حوادث مؤلمة وأضرار مؤسفة، محتوياتها ليست خالية من ضرر، واستعمالها لا يؤمن من أذىً، مما قد ينفي عنه صفة البيت الآمن، ولكي يتمتع بتلك الصفة كان لزامًا أن يكون على مسافة

---

[1] سورة النحل، الآية: ٨٠.

آمنة من أسباب الحوادث ومهددات الأخطار التي تعصف باستقراره وتجلب خرابه وتثير الذعر فيه.

إن أعظم ما يرنو إليه الإنسان وجود سكن خالٍ من معصرات؛ ليعيش بداخله آمنًا بأمان الله، مطمئنًّا في كنفه، فإنْ انعدمت تلك الصفة فكيف يعيش في بيت محفوف بخطر؟! وأنَّى له أن يكون قرير النفس مرتاح البال؟!



كيف تَسْلم من تهديد توشك أن تقع فيه[1]

منْ يلتمس السلامة في بيته، يُؤمّنه ويحافظ عليه ويراقب مشتملاته، فإن ما فيه من أدوات وأجهزة وما به من بناء وأروقة هي لإسعاده، لكن هل السعادة تأتيك دون توفير أسبابها وتأمينها باستدعاء موجبها، واستيفاء أساسها؟ ذلك لن يكون إلا بتهيئة ظروف الأمان وعوامل الاستقرار، وجعل الخطر في سلة الحذر.

ومن لم يراع عوامل سلامته فقد وضع الخطر في مقربة منه، وبين هذا وذاك جمع من الإجراءات وعوامل من التدابير واليقظة والانتباه، فالمنزل كالسفينة ربانها الرجل تقع عليه مسئوليته، ودفتها المرأة، فهي ليست في معزل عن المسئولية، فهي راعية في بيتها وربة أسرتها، فكيف لها لا تلحظ ما يوحي بخطر محدق بها وبأبنائها؟!

فالرجل عادة ما يكون مهمومًا بعمله، يعمل ويكدح من أجل إسعاد أسرته، فهي بذلك مسئولة تقي نفسها وعيالها وزوجها شر الحوادث ومحدثات الأيام؛ ليبقى البيت موئل سكن لا ضررٍ يغمره أو أخطارٍ تهدده. فقد جاء في الحديث الشريف قَول رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلاثٌ** ".[2]

---

[1] نحو مفهوم شرعي للسلامة، د. عبد الله الطويرقي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤١٦هـ.

[2] مسند أحمد والحاكم.

ذكر منها السكن الصالح وأن أحد معالم صلاحية السكن أن يكون آمناً من خطر.

فبعض الحوادث المنزلية قد تكون مرعبة أو مميتة أو مقعدة أو مُقيِّدة، فكل يوم يُولد خطر جديد، وكل يوم يدخل البيوت حديث الاختراعات، ومستجد التقنيات، لا تخلو من خطر غير منظور لا ندركه مع الأسف إلا عندما يقع المحظور، وهي على ما تنطوي عليه من مضار على الأنفس، فهي أيضًا خسارة قد يصعب تعويضها بسهولة، كل ذلك بسبب كان بسيطًا قبل وقوعه. بمعنى: لو تنبَّهنا ولو بشيء من الملاحظة وبذل قليل من الاحتياط لكان ذلك كافيًا، وعندما أهملنا جانب السلامة حلَّ الخطر ومُني البيت بالحوادث. بعضهم يترك الأمور وكأنه يريد أن تحل نفسها بنفسها. ويقول: أنا متوكل ولا يأخذ بأسباب التوكل.

معلوم أن توكل المؤمن على الله من صحيح الإيمان وكمال التوحيد. يقول تعالى ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ ﴾[1]، لكن التوكل يلزم له موجبات وعوامل تُؤخذ في الحسبان لا ينافي معنى التوكل، كما يقول شيخ الإسلام ابن القيم، إذ جاء عنه قوله[2]: لا بد من مباشرة الأسباب إلى جانب التوكل وإلا كان معطلاً. فالإنسان مأمور بالتوكل على ربه مع الأخذ بالأسباب في جلب المنافع أو دفع المضار، وهو نهج نبينا –صلى الله عليه

---

[1] سورة المائدة، الآية: ٢٣.

[2] زاد المعاد.

وسلم- ومن ذلك قوله: "**غَطُّوا الْإِنَاءَ وَأَوْكُوا السِّقَاءَ وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ وَأَغْلِقُوا الْبَابَ**"[١]. وهذا رجل جاء على ناقته إليه وقال: يا رسول الله، أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ قال: "**اعقلها وتوكل**".[٢]

وفي ذلك دليل على عناية الإسلام بالأخذ بالأسباب، وبما أن البيت محضن الأسرة، والمحافظة عليه مقصد من مقاصد الشريعة في درء الأخطار، وهدف رئيس نتوخاه لإبعاد شبح الحوادث ووضعها في الحسبان مطلب أساسي للبيت المأمون، وإلا كيف يكون آمنًا في غياب معاني السلامة إهمالاً وغفلة أو جهلاً وتجاهلاً؟!

ولن يكون البيت مأمونًا إذا غابت عنه روح اليقظة وفارقته الحيطة، وشاح عنه الحذر. فالسلامة أمنية كل حي، والتوجيه النبوي: "**اعقلها وتوكل**"، يعني أن نتخذ احتياطات السلامة ومستلزماتها متوكلين على الله بعد الأخذ بأسبابها، وهو توجيهٌ يضعه الإنسان نصب عينيه قبل أنْ يداهمه حدث على حين غرَّة وهو غارق في إهمال.

إن من شاكلة هذا كثيرين يُهملون ويُهملون حتى يتمكن منهم الإهمال، فإذا وقع الفأس في الرأس استيقظوا وتحمَّسوا؛ ليعاينوا ما تبقى من أثر حادث حريق، أو انتشار غاز خنيق، أو انفجار علب

---

[١] رواه ابن ماجه.

[٢] رواه الترمذي.

مضغوطة ، أو تلوث مياه خزان الشرب أو تسرب سُميَّات، وقل ما شئت من الحوادث التي قاموا ليعاينوها بعد أن أصابهم مصابها، وربما كان يرددون لفظ السلامة مرارًا وتكرارًا، ومثل هؤلاء كانوا يسمعون عما يحدث، ويقرأون ما حل من حوادث ، فلا يعطونها أدنى اهتمام ، وكأنهم يستبعدون أن تحل أحزان الحوادث في ساحته.



إيجاد وسائل السلامة والعمل على تفعيلها

لما كانت السلامة من أولويات الهموم في المنزل، ومطلبًا رئيسًا للأسرة تستهدف سلامتهم فهم الهدف ، وفي نفس الوقت هم الوسيلة من خلال توفير أسبابها لتكتمل طرفا المعادلة (هدف +وسيلة) فلن تصل إلى هدف بدون إيجاد وسائله.

إذن: معادلة السلامة تأتي في هدف ووسيلة، فطالما وضعناها هدفًا كان لابد أنْ نوفر مستلزماته، وكيف يتحقق ذلك إنْ كان رب الأسرة غير مستهدِف السلامة وليست في حسابه أصلاً وكأن المخاطر غير وارد في ذهنه مستبعدًا أن بيته سوف يتعرض يومًا لحريق أو يفاجئه تماس كهربائي، أو يصاب هو وأفراد أسرته بتسمُّم غذائي، أو غرق أحد أبنائه في مسبح المنزل أو... أو...أو...إلخ؟!

فإن وقع حادث فجأة تراه لا يتماسك نفسه يشرع بتصرفات عشوائية، ويزداد الأمر سوءًا كلما احتدم الحال، وظنّ أن ليس أمامه منفذًا ينفذ منه. وكلما تفاقم الحادث زاد الارتباك وعشوائية التصرفات؛ سيما إذا تطلب الموقف إنقاذ أفراد الأسرة إذا كانوا في أوقات راحة أو نوم في غرف متفرقة، مما يؤدي إلى القيام بإجراءات مرتبكة تفرز حوادث سلبية أشد وطأة من الحدث ذاته.

وتختلف ردود الأفعال من أسرة إلى أخرى بحسب حجم الأسرة وأعمار أفرادها، وبحسب حدة الحادث، ودرجات تطوره، وقابلية

التدخل فيه، حيث إن هذه الاعتبارات ذات أهمية عالية في مواجهة الأحداث وقدرة السيطرة عليها، ويتوقف ذلك على مدى توقع حدوثها، وتهيئة وسائلها والإستعدادلها مسبقًا.

وهكذا ظلت حوادث المنازل سبب مآسي الأسر بما لها من ضحايا، فكم من أسرة نُكبت من حوادث حريق! وكم من منازل داهمتها النيران! أو هزها انفجار أسطوانة الغاز! وكم من فواجع أصابت أسرًا ما كانت تتوقعها! وكم من طفل فُقئت عيناه؛ نتيجة سوء إشعال الألعاب النارية بفرقعتها فيه! وكم من عائلة تعرضت لتسمم غذائي أو العبث بمواد حشرية ومواد كيماوية التهمها صبي! وكم من إصابات ووفيات لأطفال في المسابح والأهل عنهم لاهون!

ويطول بنا تعداد الحوادث المنزلية وفواجعها. وكم من أسرة انطفأت البسمة على شفاههم! وكم من أسرة أحزنت قلوبهم مآسي الحوادث وحلت في بيوتهم التعاسة وخيَّم عليهم الحزن والأسى! كل ذلك بسبب الغفلة -الإهمال- عدم التوقع المسبق وعدم التحسُّب- أو تجاهل أو تهاون- هم مشغولون في ذهاب وإياب وتمشيات وحضور مناسبات وزيارات، كل ذلك في قائمة نشاطاتهم. لكنهم عن مخاطر بيوتهم في غيبة، ومخاطر أسرهم غير واردة، فإذا داهمهم حريق انتفضت فرائسهم وقاموا مذهولين لدرء خطره ومحاصرته، ربما يكون ذلك لكن أيضًا ربما لا يستطيعون فتدور عليهم دوائره ويقعون صرعى فيه أو أحد أفرادهم، تراهم في حيرة من أمرهم وربما يتلاومون، يلوم كل

منهم الآخر، بعد أن أفاق الغافي من غفوته والناسي من نسوته لكن بعد أن فجعوا وبات يخيم عليهم الحزن وزفرات الأسف.

لماذا يا هذا كل هذا ؟! وقد كنتَ في حلٍّ من هذا لو اتخذت من أسباب السلامة ما الله بها معافيك بمشيئته وقدرته، لو وفَّرتها فهي لك هدف وأنت وسيلة تفعيلها ، تهاونتَ فكانت لك همًّا وباتت لك غمًّا.



ثنائية التضاد

إذا كانت الحياة قائمة على مبدأ التضاد، فالسلامة ضدها الخطر فما للإنسان لا يولي جانب السلامة بشيء من حرصه ليوازن مبدأ ثنائيتها ففي عدمها سوء تقدير للنتائج وسوء حسبة للوقائع وكأنه أمن جانب الخطر ومكامن التلف والضرر، وقسوة الحوادث لا يدركها إلا من وقع فيها، عندها يتذكر أنه لم يتخذ لنفسه واقيًا ولم يعمل لبيته حائطًا ترك الأمور تسير في أعنتها حتى حدثت غيلتها في مقتل أو أوقعته في مخسر هنا يصح أن نسأل سؤالًا عفويًّا:

هل ثمة من يفرِّط في نفسه ويعرضها لخطر؟ نعم هناك من هو على شفا خطر فلا يبادر إلى تلافيه ويبطئ به بروده غلب عليه فرط لا مبالاة مثل هذا من يجني سوء تفريطه.

المهمل في حق نفسه وعياله وماله لا ينطبق على بيته مواصفات البيت المأمون أو المنزل الآمن، ودعونا نصف المهمل:

- هل هو شخص لا يبالي بما حوله من خطر، لا يتوقع جسامة نتائجه؟
- أم أنه شخص يعلم أن الخطر سيقع فلا يبالي به، ويحسب أنه مؤجل فلا يعاجل بمعالجة إشاراته؟
- أم هو شخص لايعلم أن حوله خطرًا هو عنه لاهٍ وعن سلامة بيته ساهٍ؟ أم هو شخص ظن أنه عقد صفقة مع الحوادث ألا تصيبه بخطرها ولا تمسه ماستها؟

المهمل هو هذا وذاك، كل منْ يرى خطرًا أو يتوقعه أو يلمسه ولا يبالي به، ولا تأخذه عزيمة لتلافيه فهو مهمل، يجر الويل على بيته وأهل بيته، فإذا مسّته لفحة الحريق، أو انزلق أحد أبنائه فوقع وانكسر، أو سقط من علو هشم عظمه وانجرح لحمه، أو انفك لحيه طار صوابه، وقام يلقي بالأعذار على الأسباب بعملية إسقاط على غيره في البيت من زوجة وأبناء أو خدم وحشم، كأنه يبرىء نفسه من المسئولية، يلقيها على آخرين.

ولو دققتَ النظر في أمره تجده في قرارة نفسه يشعر بالألم المبرح ويجلد داخله؛ لأن إهماله كان السبب الرئيسي في وقوع ما حدث في البيت، أدى إلى تلف أو أصاب أحد بضرر أو تعدى إلى ما هو أقسى وأمضى، يرمي بالملام على آخرين، وكأنه يقول: يكفيني ملام نفسي، يبحث عمّن يشاركه تحمل المسئولية، أو من يحمل عنه قسطًا منها.

❁ ❀ ❁

خطة السلامة في المنـــزل

بداية أود التنبيه إلى ما لفت نظري في بعض البلدان من اهتمام بسلامة المساكن إذ الشقق السكنية تُزود بملصقات تحمل تنويهات هامة، يُوضع تحتها خط أحمر ، تُلصق عند المدخل أو على الأبواب أو على ثلاجة المطبخ تلفت انتباه الساكنين إليها، تحتوي على:

- ❖ كروكي موضح فيه مخارج الطوارىء وأماكن التجمع حال الخطر.
- ❖ معلومة لما ينبغي اتخاذه كإجراء أوليّ في حالة الشعور بخطر ما.
- ❖ تعليمات بعبارات موجزة لكيفية استخدام طفاية الحريق.
- ❖ إيضاح مكان القاطع الكهربائي؛ لفصل التيار مع وجود مصباح إضاءة احتياطي يُضاء تلقائيًا عند انقطاع التيار؛ للحصول على رؤية كافية؛ منعًا للتخبط في الظلمة.
- ❖ التأكيد على خلو الممرات الموصلة إلى المخارج من العوائق.
- ❖ الإرشاد إلى إجراء تجربة بسيطة وتوزيع الأدوار على أفراد الأسرة؛ ليسهل احتواء الحدث والتشديد على حوادث الحريق.
- ❖ تعويد أفراد الأسرة على مواجهة الحوادث برباطة جأش منعًا للارتباك.
- ❖ تمرين الأسرة على طريقة اكتشاف المخاطر بتصور حدث وكيفية احتوائه.

- ❖ إبعاد الآلات الحادة والأدوية والمواد الكيماوية والمبيدات الحشرية عن متناول الأطفال، والاحتفاظ بها في أماكن بعيدة عنهم .
- ❖ التدرب على استعمال طفاية حريق وهي تجربة بسيطة لا تكلِّف جهدًا ووقتًا كبيرًا.
- ❖ من الأفضل تركيب جهاز كشف الدخان وجهاز استشعار حراري للتنبيه.
- ❖ تركيب مراوح طرد الأدخنة والأبخرة خاصة في المطابخ وأماكن التدفئة التقليدية.
- ❖ ملاحظة عدم التحميل الزائد على مقابس الكهرباء ومآخذ التوصيلات.
- ❖ التأكدمن سلامة تمديدات الغاز وملاحظة الخراطيم (اللیات) الموصلة من الأسطوانات إلى الأفران.
- ❖ تفقد أسطوانة الغاز واستبدال جلدة المنظِّم عند إعادة تعبئتها أو استبدالها لدى محلات توزيعها.
- ❖ تفقّد سخانات الماء وصيانتها سنويًّا قبل فصل الشتاء وكذا المكيفات.
- ❖ إبعاد مصادر اللهب عن المواد القابلة للاشتعال وتأثيرها الحراري.
- ❖ عند مغادرة المنزل يجري التأكد من قفل أسطوانة الغاز ومصادر الكهرباء؛ تلافيًا لوقوع حريق.
- ❖ التحسُّب للمباخر وإبعادها بعد الاستعمال؛ لئلا يبقى فيها بقايا نار تكون سببًا في إشعال حريق.

- ❖ ملاحظة برك السباحة وإحاطتها بسياج؛ كي لا يدخلها الأطفال في غفلة من ذويهم.
- ❖ استشعار نقاط الخطر كخزانات المياه وعدم تركها مكشوفة وتفقُّد أغطيتها؛ لئلا تكون مصدر خطر يقع فيها أحدٌ على حين غرة.
- ❖ التحسُّب للمواد الكيماوية والملتهبة والغازية والمبيدات الحشرية والعبوات المعبأة.
- ❖ أجهزة التدفئة: اختبار الأصناف الجيدة المأمونة، والتأكد من سلامة أسلاكها وقوتها وجودة عملها، ومدى قدرتها على العمل المتواصل لأكثر من ساعات.
- ❖ عدم تمديد الأسلاك تحت الفُرش والأَسِرَّة والدواليب.
- ❖ تفادي استعمال التوصيلات الكهربائية الطويلة قدر الإمكان.
- ❖ إبعاد جهاز التدفئة عن ملامسة الفُرش والسجاد، والأفضل استخدام أجهزة التدفئة التي فيها إمكانية فصل التيار تلقائيًا.
- ❖ في حالة استخدام مدافىء الغاز يجري التأكد من عدم وجود تسرب، وإبعاد الأسطوانة بمسافة معقولة عنها، وإبعادها عن متناول أو طرق حركة الأطفال.
- ❖ في حال شم رائحة غاز فيعني ذلك وجود تسرب. أوقفها فورًا، وافتح النوافذ لطرد الغاز.
- ❖ التدفئة بالحطب: لا يتم إشعال الحطب أو الفحم في مكان مغلق، والأفضل استعماله في منطقة مفتوحة أولًا حتى يشتعل بالكامل، ثم إدخاله، وعدم قفل الأبواب بالكامل.

- ❖ إذا كانت التدفئة مصممة أصلاً في المكان (مشب) فيجب توفير فتحة تهوية تسمح بمرور الأدخنة المنبعثة من الحطب أو الفحم.
- ❖ في حال استخدام فرن المكروييف يستوجب عدم تركه أو الغفلة عنه؛ لتفادي احتراق الطعام المراد تسخينه، مما يسبب اندلاع حريق، ومن المستحسن استخدام أوانٍ مخصصة له.

معلوم أن حوادث الحريق المفاجئة تسبب روعًا وتوقع صدمة عنيفة يهب المتورط فيها فزعًا، تغشاه حالة مسارعة وأخرى مصارعة، فالمسارعة يعني مغالبة الزمن قبل أن تحيط به فتدب فيه حلة مصارعة أي: مقاومة شديدة لتطويقها قبل أنْ تتفاقم ويشتد بأسها.

في كلتا الحالتين ينتابه شعور الأمل بالخروج من ورطتها بسلام ممزوج بخوف شديد خشية أنْ يتطور وتحيق به نارها فيقع صريعًا لها لا سيما إذا كان الإنسان مستغرقًا في نوم أو مستلقيًا في راحة أو ملتهيًا بملهاة لم يدُرْ في خلده أن تطوقه دوائر خطر أو يبهته حريق يغلق عليه منافذ النجاة من حيث لا يتوقع . أما وقد وقع، فالمرء في حالتي المسارعة والمصارعة. ففي الأول يحاول كسب عامل الزمن قبل أن تشتد وطأتها، وفي الثانية صراع من أجل البقاء قبل أن تطوقه حبائلها وتطبق عليه ألسنتها.

وفي الحالين تهيج التصرفات وتتخبط السلوكيات وتتطاير العشوائيات؛ ليزداد الهلع هلعًا ويرتبك الوضع، فمنْ كان في حال يقظة كان الله في عونه أمام فجائية الموقف بملابساته المفزعة، ومن كان في حال نوم أو غفوة راحة أو ملتهيًا بملهاة، نقول: أعانه الله مرتين؛ لأن حالة التوازن عنده تكون غير منضبطة، ولكي

يفيق من حالته يحتاج إلى شيء من الوقت يمسك بزمام أموره، فالأمر يستغرق وقتًا في حين يتصاعد الحريق يُصاب صاحبه بدهشة منفعلة وأعصاب منفلتة لا يستطيع أنْ يتمالك نفسه، هنا سيكون التعامل مع الحدث بصورة سلبية فيزيد الحال سوءًا، ومن يقدر على لمِّ شيء من هدوئه ومحاولة تماسك أعصابه، فلعله يستطيع السيطرة على الوضع أو على الأقل على شيء منه، ويواجه الورطة التي اقتحمت سكونه وبددت هدوءه تهدِّد حياته وتخلخل كيانه.

فإن تفاعل مع الحدث باستجابة سالبة مرتبكة زاد خوفه وتعاظم الموقف في عينيه وخارت قواه، وإن تلقَّ الحدث باستجابة موجبة يشوبها شيء من الخوف لكن فيها من التماسك ولمّ ما بقي من نفسه قبل أن تنهار واستجمع قواه فسوف يعمل عملًا يمكّنه على الأقل من الهرب من دائرة الخطر؛ لينجو بنفسه، ويزداد الموقف صعوبة إذا كان رب أسرة يعاني مشكلة ربو وضيق تنفس، وأولاده في غرف متفرقة عندها يكون الوضع جدًّا حرجًا.

ونود أنْ نسرد تصورًا (سيناريو) مكافحة حريق في منزل، لعله يسلط الضوء على أسلوب من أساليب مواجهة المواقف الطارئة لحوادث الحريق.

❋❁❋

سيناريو مكافحة حريق في منـــزل

تتوقف مواجهة حادث حريق مفاجىء في منزل على أربعة عوامل :

١-الاستعداد النفسي (ترويض النفس أن الحياة لا تخلو من حدث قد يُفاجأ به الإنسان في أي لحظة لا يعلم توقيتها).

٢-قدرة الاستجابة الأولية السريعة الموجبة.

٣-رباطة جأش مع خفة حركة.

٤-تحديد مهام {توزيع مسئوليات} أفراد الأسرة.

١- الاستعداد النفسي المسبق:

أي تركيز فكرة احتمال وقوع حريق في أي لحظة بالمنزل، والتشديد على صعوبة الموقف خاصة إذا كان أفراد الأسرة في حالة استرخاء نهاري أو نوم عميق ليلي؛ ليدرك كل فرد فيها أنه معرَّض لمثل حادث حريق، يمكن أن يتورط فيه ويُدخله في مأزق قد يُودي بحياته أو حياة أحد أفراد أسرته، ليتكون لديه سؤال :كيف السبيل إلى التعامل معه والخروج منه بسلام؟

٢- القدرة على الاستجابة الأولية:

يستطيع كل فرد أنْ يكرس في نفسه أن عليه أنْ يواجه مثل هذا الحدث بقدر من السرعة؛ ليتفاعل معه بإيجابية؛ فالاستجابة الأولية للحادث على قدر كبير من الأهمية؛ فإن لم تكن كذلك فستكون استجابة سالبة، وهو ما يعني ارتباكًا وعشوائية، مما يزيد الوضع تعقيدًا، وقد تفضي إلى ما هو أسوأ من الحادث نفسه.

٣- رباطة جأش {ضبط الأعصاب}:

حوادث الحريق عادة ما تكون مرعبة، فإن قوبلت بسرعة حركة ومواجهة عاجلة برباطة جأش وخفة في اتخاذ القرار المناسب وعدم تردد؛ كي لا يستولي الخوف على النفس ويبدو الشخص مترددًا خائرا مما يبطئ بالعزم على المواجهة فسوف تتضاعف شراسته. إذ إن النار تتصاعد شدتها بدرجات مضطردة ففي كل لحظة هي في طور ، فإذا حسبنا كم من لحظة في الثانية فسيكون التصاعد متواليًا والتراجع أمامه متباطئًا وهذا يفسر سبب انتشار الحرائق بسرعة فائقة حال التباطؤ.

فالحريق إذ شبَّ في اللحظة الأولى قد يكون على شكل وميض أو شرارة أو شعلة على قدر شعلة عود الكبريت يمكن السيطرة عليها وفي اللحظة التالية أشد من الأولى، والثالثة أمضى، والرابعة أشد وأقوى، ففي لحظات معدودة تستعر النار وترتفع درجة الحرارة وتتصاعد ألسنة اللهب، فإذا ما تم مبادرة السيطرة عليه في اللحظة الأولى فإن الفرصة مهيأة للقضاء عليه في مهده، وإلا تضاءلت الفرصة .

وبعد مرور عدة لحظات قد يتعذر السيطرة عليه بسهولة ، مما يجعله في حال قابل للانتشار إذا لم يكبح في حينه مما يستوجب عدم التردد، وليتدخل بدراية وقوة مواجهة محسوبة ومن ارتبك وتردد فالعشوائية قرينةٌ له بفعل الخوف الذي ينتابه لا يتحكم في ضبط انفعالاته. مثال ذلك: تصور شخصًا جالسًا في صالة بيته منشغلاً في متابعة مشهد تلفزيوني أو قراءة كتاب وفجأة ينفجر جهاز كهربائي فيصيبه الفزع فيتناول إناءَ ماء قريب منه ليصبه عليه ظنًّا منه أنه سينطفىء، عندها سيسرى تيارٌ كهربائيٌّ أكثر

حدة، وهو فعل عشوائي عفوي أملاه الفزع. أو ربة بيت تغلي بعض الأطعمة في مقلاة على النار يندلع فيها اللهب تسارع إلى صبٍّ كأس بيدها، فيزداد لهيب النار، وهو تصرف عشوائي تلقائي بحكم الخوف.

٤- تحديد مهام {توزيع مسئوليات} أفراد الأسرة:

جرت سنة الأرض أن رب الأسرة هو الذي يدير شؤون منزله، ففي حوادث الحريق عادة تنشأ حالة غير عادية لو تصرف كلُّ واحد حسبما يراه لماج الحال وضاعت رزانة التصرف مما يفترض أن توزع الأدوار مسبقًا تحسُّبًا لذلك بحيث يخصص لكل فرد دور محدد كي تتكامل الأدوار في وقت واحد لإخماده بأقصى ما يمكن قبل أنْ يتحول إلى أطوار متقدمة يصعب التدخل فيها.

مثلًا: يُكلف شخص بالإسراع لقفل قاطع الكهرباء الرئيسي {السكينة}إن لم تكن مهيأة للقطع الآلي وآخر يفتح الباب الرئيسي، وثالث يتناول طفاية الحريق، ينزع مسمار الأمان ويتوجه إلى موضع الحريق في بدايته، ويوجه خرطوم الطفاية مع الضغط على المقبض لتتدفع المادة بداخلها مباشرة؛ لإخمادها في مهدها، (في الأسواق تقنية جديدة لطفايات حريق خفيفة الوزن يكفي رميها على موضع النار تطفئها أو تحد من توهجها لترمى أخرى وهكذا). وهذا يتطلب إجراء تجربة عملية عليها من قبل،ثم آخر يقوم بتبليغ الدفاع المدني، ومنْ يحمل كشافًا للإضاءة؛ تحاشيًا للظلمة.

وهنا يأتي دور الأب أو كبير الأسرة ليقوم بدور الملقِّن والمذكِّر، فينادي كلاًّ باسمه، يذكرهم ليقوم كلٌّ بدوره، ويوجه أفراد الأسرة بنقاط التجمع، فإن كان الحريق في الدور العلوي عليهم التوجه إلى السطوح، وإن كان في الدور الأسفل عليهم التوجه إلى

الحوش، ويُذكرهم بإمكانية استخدام مناديل أو قطع من القماش مبللة؛ لوضعها على الأنف والفم تفاديًا لاستنشاق الأدخنة المتصاعدة.

كل ذلك لن يأتي من فراغ، بل لا بد أنْ تجرى له تجربة، قد يستصعب بعضهم هذه النقاط متكلًا على الجهات المسؤولة. نعم هي بالفعل مكان الاتكال بعد الله، لكن ضع في حسابك أن الدفاع المدني ليس إلا آليات تتحرك تبعد أو تقرب مقارها عن منزلك، ثم هي تمر بشوارع قد تكون مزدحمة أو قد لا تكون الطرق ميسَّرة بما فيه الكفاية. البعض يتصور أنها ستصل إليه بمجرد ما يضع سماعة الهاتف أو الجوال وينتهي من البلاغ مستبعدًا تلك الأحوال. فهي على أقل تقدير لكي تصل إليك تستغرق بعض الوقت، هذا الوقت تتضاعف فيه شدة الحريق. فليس بالإمكان وضع فرقة إطفاء في زاوية كل بيت أو شارع؛ لأن الشخص الذي يداهمه حريق يفترض أنه بمجرد التبليغ ستصل فرقة الإطفاء دون أنْ يحسب حساب الطريق والوقت الذي تستغرقه للعبور (أما الفرق المنتقلة -كتجربة شخصية- فهم أشد حرصًا على الوصول في الوقت المناسب لكنه ليس بالإمكان أفضل مما كان)، وليس كما يحسبها المبلِّغ الذي يكون حاله مستنفرًا بفعل الحريق الذي أحاط به، يحسب الثانية بساعة ؛ لفرط شعوره من الخوف والهلع.

إذن: إجراء تجربة بسيطة وتوزيع مهام واستعداد مسبق كفيل – "بإذن الله"– باحتواء أولي للحدث على الأقل، إخلاء المكان ومقاومته بإجراءات مواتية تخفف من حدته ريثما يصل الدفاع المدني الذي سيتولى عناء المقاومة بإمكاناتهم المتعددة القادرة على التدخل بقوة، فوضع الاستعداد المسبق في المنزل ليس صعبًا بل

هي مجرد جلسة مع أفراد العائلة وتدارس الوضع معهم من منطلق الحماية الذاتية، وهي لا تستغرق وقتًا طويلاً، بل مجرد جلسة من الجلسات العائلية لشرب الشاي أو مسامرة أسرية تردادها على المسامع تكرس فكرتها والتذكير بها بين فترة وأخرى يفيد جدًّا في استيعابها إذا ما حدث حريق يجني ثمارها الجميع؛ تجنبًا لمآسيه. فقط انظر إلى الموضوع بعين موضوعية، فالحياة غالية وأغلى ما فيها سلامتها.

لا تنظر بعين التصعيب، فالأمر لا يحتمل التعقيد، جرّب مرة وستجدها في غاية البساطة، لا تأخذك الروحة والجيئة، والخرجة والدخلة، والشغلة والفضوة، تتحجج بها، تصعِّب الأمور، فتقول: لستُ متخصصًا في أمور الحريق، فتنصب أمام ناظريك صعوبة؛ فتوقعك في فخ حريق مفاجىء عندها تكون الصعوبة الحقيقية حين تفاجئك على حين غرّة منك، تتمنى لو سنحتْ لك فرصة التفكير في سيناريو مكافحة الحريق.

وسنعرض لحادث حريق افتراضي في منزل تسكنه عائلة مكونة من: والدين، وخمسة أبناء { ثلاثة أولاد، وبنتين}. استمدينا تصوّره من واقع حوادث سابقة.

هبْ أن دارًا مكوّنة من دورين الأول مرافق استقبال الضيوف والمناسبات، والدور الثاني يحوي ست غرف نوم، وصالة معيشة، ومطبخ ومنافع مع ملحق فوق السطوح للخدم. ينفرد كل منهم بغرفة مستقلة بالإضافة إلى غرفة نوم رئيسية.

عندما يخلد الجميع للنوم مساء، فجأة قد يحدث تماس كهربائي في سلك الثلاجة المغروز في القابس (الفيش) الممتد من خلفها بحيث تحجب رؤيته بينما يظلّ التماس يتصاعد بطريقة غير

ملحوظة بعد مرور ساعة أو أكثر على حسب شدته لامس ستارة النافذة التي سرعان ما اشتعلت لتنتقل النار إلى محتويات المطبخ حتى وصلت إلى الباب الخشبي، مخلفةً دخانًا وحرارة، كل هذا وأفراد الأسرة يغطُّون في نوم عميق، وكانت إحدى الغرف ملاصقة للمطبخ تقطنها إحدى البنات اللاتي شعرنَ باختناق، فانتبهت لتفاجأ بحرارة شديدة صادرة من المطبخ، عندما نهضت من سريرها فوجئت بدخان كثيف وحرارة شديدة ولهب، فانتابها رعب شديد، فصاحت مستغيثة مهرولة إلى الغرفة المجاورة التي ترقد فيها أختها لتوقظها، ثم إلى غرفة والديها التي تليها، قام الأب مفزوعًا والأم مرتعدة تبحث عن باقي الأولاد، والنار تضطرم والأمر يحتدم، وهم بين مصاب بصدمة ومنهار. تصوَّر حجم هذا الموقف، الحلول يجب أنْ تأتي عاجلة ومنسقة؛ ليقوم كلّ بدوره؛ لأن شخصًا واحدًا لا يمكن أن يقوم بكل ما هو مطلوب وبأولوياته؟ وعلى فرض حاول التصدي للحريق بمفرده ففي هذه الحالة يكون فاقدًا نسبة كبيرة من توازنه وتركيزه. من أين يبدأ ؟ وإنْ كانت امرأة فالأمر أشد ربكة وأكثر هلعًا.

إذن: التعويل هنا على الرجال من أفراد الأسرة الذين لم يخطر على بالهم قط أنْ يقعوا في موقف حرج كهذا، فإن لم يتم توزيع الأدوار ؛ ليقوم كلٌّ بدوره لاحتواء الموقف باستجابة سريعة أولية فاعلة موجبة، وإلا ستكون استجابة سالبة مرتبكة، سيتصرف كلٌّ منهم على حسب رؤيته وحالته النفسية؛ لأن الاستعداد المسبق غير متوفر عند أي منهم، مما يسمح بتصرفات عشوائية قد لا تخدم الموقف بل تزيده تعقيدًا، وتتعثر عملية التعامل وتتناثر التصرفات

فيزداد الأمر سوءًا، وفي هذه الحال ستتلف الأعصاب، وفقدانها يعني فقدان التحكم بطيش التصرفات.

وهذا يقودنا إلى أنه لو كانت قد حُدِّدت أدوارٌ لكل فرد في الأسرة لكان احتواء الموقف في منتهى البساطة، كأنْ يقوم الأب بدور الموجه، والابن الأول مسؤول عن قطع الكهرباء وإشعال مصابيح الرؤية {كشاف أو مصابيح تخزين كهربائي} والابن الثاني يهرع إلى استخدام طفاية حريق وإغلاق أسطوانات الغاز، والأب يقود بناته ووالدتهم إلى مكان آمن {منطقة تجمّع متفق عليها من قبل} هذا نموذج متصور لحادث حريق منزل، وعلى مثل هذا يمكن تصور حوادث مماثلة.

شَاهِدُنا هنا أن نتوقع حوادث حريق بمختلف أسبابها، وأحرج ظروفها، وأن مواجهتها تستلزم إيجاد توقع قوي لاحتمالاتها، وعلى رب الأسرة أنْ يضع في اعتباره أن حوادث الحريق إن حدثت فجأة فاحتواؤها لا يأتي بالصدفة. ولكي تحقق جودة المكافحة الفاعلة وسرعة استجابة تعطينا قدرة على تدارك الحدث، علينا أن نعرف: من أين يمكن أن يندلع حريق؟ وكيف نستطيع السيطرة عليه؟

والجواب على ذلك يأتي من خلال التنبؤ المبدئي باحتمالات وقوعه، وتحديد النقاط الساخنة في المنزل المرشحة أكثر من غيرها لاندلاع الحريق، وتحديد مصادرها وتوقع حدوثها، كالمطابخ حيث الطهي والكهرباء ومقابسها والسخانات وأدوات التدفئة وما ماثلها.

أما كيف تستطيع السيطرة عليها فيستلزم:

١- التحلي بقدر مناسب من رباطة الجأش، والبُعد عن العشوائية، والتصرف بعقلانية وسرعة كافية، وهذا يعني الاحتفاظ بحالة موازنة بين خطورة الموقف والتصرف السليم؛ للتعامل في الوهلة الأولى قبل أن يتفاقم.

٢- فصل التيار الكهربائي. أما في الليل فمن الأفضل أن تزود المنازل بمصابيح إضاءة احتياطية ؛ لأن الظلام قد يؤدي إلى الإرباك، وقد يزداد الأمر سوءًا.

٣- قفل أسطوانة الغاز، وإنْ أمكن إخراجها من موقع الحريق.

٤- فتح النوافذ للتهوية وطرد تسربات الغاز والأبخرة الناجمة عن الحريق مع ملاحظة أن الحريق قد يزداد بدخول الهواء وهو ما يجب وضعه في الحسبان.

٥- استخدام طفاية الحريق بأقصى سرعة، والاقتراب بها من بؤرة الحريق لإخماده.

٦- فتح الأبواب والمخارج الاحتياطية إن وجدت.

٧- في حالة انتشار الدخان وعمّ المنزل فالأفضل النزول إلى أسفل والزحف على الأرض أهون للتنفس من الأعلى .

٨-إغلاق الأبواب للاحتفاظ بقدر من الهواء النقي إذا سمح الوضع بذلك.

الأطفال وحوادث المنازل: أن من أنكأ حوادث المنازل تلك التي يكون الأطفال ضحيتها وكثير منها غير مبررة أسبابها، فاللامبالاة أبرزها. فلكي نحمي الأطفال فالأمر مُيسَّر إذا راعينا :

- ملاحظة عدم ترك الأطفال لوحدهم في المنزل.
- مراعاة إمكانية تغطية مقابس الكهرباء (الأفياش) بشريط لاصق؛ حتى لا يكون عُرضة لعبث الأطفال.

- ملاحظة الأطفال أثناء لعبهم، ففي المسبح يُراعى وضع احتياطات سلامته وقفله، وعدم السماح للأطفال بدخوله إلا بوجود كبير معهم، وكذا في حالة الاستحمام في المغطس {البانيو}.
- عدم ترك الأدوية والأدوات الخطرة في متناول الأطفال.
- عدم ترك مفاتيح أبواب الغرف فيها؛ حتى لا يفكر طفل في قفل الباب، وقد يتعذر عليه معرفة فتحه مرة أخرى.
- ملاحظة لعب الأطفال واختبار اللعبة المناسبة لعمره، ومدى أن تكون آمنة ، ولا تحتمل أيّ ضرر عليه.

❋ ❁ ❋

الحسّ شطر الأمان من الحوادث

الشعور بالأمان غريزة إنسانية هي بمثابة مجس ارتياح أو قياس درجة الاطمئنان للبقاء السالم؛ ولما كان المنزل قاعة أمان لانطلاق كرّ وفر؛ لتحصيل المنافع والإيواء إليه بعد كد وكدح فكان من أوجب مستلزماته سلامته من الحوادث؛ ليحقق أمانه النفسي داخله. على اعتبار أن السلامة المنزلية مطلبٌ أساسي؛ لإيواء آمن من مزلات الأحداث؛ كونه محضنَ خصوصية يقطنه المرء وتوابعه من أهل وعيال، ومركز اجتماع أسري وملاذ عائلي يستريح بداخله أفراده يمارسون خصوصياتهم، وتسترخي فيه نفوسهم، يُحصّنهم من بأس وبواعث الأخطار، يتعهده ربّ الأسرة وربة البيت لينزلوه منزلًا مأمونًا ؛ يتحسسون ما يحيطه من أضرار وما يحيق به من أخطار .

إنه الحدس أو ما يسميه بعضهم الحاسّة السادسة، وهي نزعة باطنة تحسسه بما يدور حوله مضمونها الشك بوجود خطر يستوجب استباقة قبل أن يقع حدوثه. فالحس بهذا هو: ما يطرق الخاطر وتفزع له النفس يدق ناقوس الحذر يدعو إلى التفاعل معه وقايةً من سوء قد يقع.

ومع أن الحسّ موجود لدى الإنسان إلا أن بعضهم قد تغلب عليه غفلة، ولا يعطي المؤشرات أدنى اهتمامه، فالسلامة المنزلية تنطلق ابتداء من ذات الإنسان الذي يقطن هذا المنزل؛ لأنها مكمنُ الاستقرار المنزلي، فإنْ لم تكن السلامة هاجسه ، فما البديل غير الخطر؟! وبهذا تتأكد مقولة الحسّ شطر الأمان من الحوادث ليستلهم من حسِّه سلامة منزله وأسرته .

❋❁❋

السلامة المنــزلية نسبيَّة

تثبت التجربة التي يدركها كلّ عاقل أن السلامة المطلقة يصعب تحقيقها، لكن الحقيقة المقابلة لها أن تحقيق قدر كافٍ منها ممكن حتى في أسوأ الأحوال وبنسبة عالية كل على حسب درجة اجتهاده وقدرته على استشعار الخطر وتقدير درجته، وبقدره يجري وضع احتياطات –ولو بحد أدنى– تصد وقوع الحوادث ومصائبها، والنجوع إلى مرحلة الاطمئنان .

على أن الإشكال الذي يقع فيه كثيرون أنهم لا يفطنون إلى احتمال وقوع حريق في منازلهم إلا بعد حدوثها، وهو ما يخلق لهم حرجًا يضطرهم إلى عشوائية التعامل معه ، وهذا يعني أنه كان مستبعدًا في نظرهم، ولم يجر التفكير فيه أو قراءة ظواهره وتقدير خطورته والتفاعل مع الإحساس به ناسين أو متناسين أن المخاطر تحيط بمنازلنا وحلت بها رغمًا عنا .

وذلك بفعل المتغيرات المتسارعة التي أدخلت بيوتنا، وعلينا الاعتراف أن بيوتنا القديمة أصبحت جزءًا من التراث؛ نظرًا لما طرأ على المنازل الجديدة من مستجدات في طريقة البناء، وما أدخل عليها من أجهزة وأدوات ومواد كيماوية ملتهبة وغازية ، وزخرفات وديكورات وأثاث وستائر لها قابلية كبيرة للاشتعال السريع إذا لم نقم بالاحتياط ضدها ، مما يجعلها شعلةَ نار متربصة تحركها أقل ومضة أو شرارة، يندلع حريقها لمجرد ملامستها ، قد لا يسعفنا الحظ لإخمادها بسرعة إنْ لم نكن قد أحطناها بما يضادها من إجراءات وأدوات تخمدها في مهدها، وإلا ستكون نكسة لما اعتقدنا منفعته فإذا بنا نجني عذاباته.

❋❀❋

الحوادث المنزلية تزيح الأمانات وتقوِّض السلامات

ما من شك أن الحوادث التي تقع في المنازل تحدث أزمات تتأزم بها النفوس وتتكدر الخواطر، لقاء ما تولده من آثار بالغة جراء إصابات حرجة أو مميتة، تورث مآسي في الأرواح أو ما تتلفه من مقتنيات وذهاب مدخرات وتبديد بناءات، وما تجره من خراب وتحدث من دمار تنتهك معاني الحياة، وتذهب ببهجة العيش وتعكر صفوه، ناهيك عمّا تهدره من أموال وممتلكات، وهي مع هذا وذاك كان يمكن إدراكها ومنع وقوعها.

فالحوادث (كما سيتبين لاحقًا في موضعه)، لا تحدث من فراغ دون ملامح تبرز في صورة إشارات تدعو لملاحظتها والعمل على ملاحقتها، تدعوك للتدخل فيها بفعل يدفع مضرتها ويحمي من حدوثها، فإن تُترك دون تدبير حمائي يتراكم الخلل إلى أنْ يقع حدث مؤلم ما كان له أن يكون لو تصوَّر أحدُنا نتائجه المهلكة من قبل أنْ يودى بحياته أو أحد الأعزاء عليه، ناهيك عما تلازمه من صدمة نفسية موجعة، ومعاناة قاسية تزرع في الذاكرة بؤسًا وألماً مقيمًا، هي الحسرة أو ما نسميها أزمة نفسية لا ينفك منها، يظل أساها مُوغلاً على مرّ السنين.

فالأزمة تبدأ بمؤشر خطر تصاعد مع الإهمال، وتضاعف مع الغفلة، وترعرع في حضن اللامبالاة، فخرج حدث ولَّد مأساة مادية وخلف آثارًا نفسية حتى أضحت أشدّ وأمضى من الحدث نفسه، لا تبارح من تأثر بوقائعها ولا تمحى صورتها من ذاكرته.

الحوادث المنزلية مؤداها اضطراب لا سكينةَ معها، وإزعاج لا راحة فيه، شعور تتفطر له النفس وتكسر الأرواح، يترتب عليها آلام نفسية ومتاعب جسدية وضياعات مالية، تحل في البيوت تقوض أمانها، وتسبي سكينتها، وتزيل هدوءها، تعكر الصفو داخلها، يتغير معها وجه الحياة، تظل هاجسًا كئيبًا وإحساسًا قاتمًا ردحًا من الزمن، يعانيها منْ كابدها، كفقدان ابن أو زوج أو عزيز، أو ضياع تحويشة العمر، وخسران ما بنى وعمر بذل العمر لجمع ماله وبنائه، أصبح بين يوم وليلة في خبر كان، أو كاد يكون كذلك حتى انتفتْ عنه صفة البيت المأمون بعد أن زال أمنه وتقوضت سلامته.

والملفت للنظر أنه كثيرًا ما تهتم بعض ربات البيوت وخاصة في المدن الكبيرة بتنسيق محتويات المنزل، واقتناء الأثاث الفاخر، وأجهزة الطهي الحديثة، واستخدام أحدث الديكورات والستائر. كلها على شفا شعلة أو ومضة كهرباء أو انفجار جهاز أو مصباح إنارة أو ... أو ... وتصوَّر ما شئت منها الهش الرقيق الذي يتأثر سريعًا بأقلّ ومضة ويستجيب لأدنى شعلة ، فهي قابلة لأنْ تسري فيها النار بسرعة فائقة فهي كالهشيم أو أشدّ هشاشة .

ويجري في الأمثال:" أسرع من النار في الهشيم". ويعبر عنها بالهشيم كونها خفيفة ورقيقة سريعة التأثر بالنار تجعلها على حافة حريق لا نرى من ربات البيوت أي اهتمام أو مجرد اطلاع على بعض كتيّبات أو نشرات أو مطويات تحذر من حريق قد يندلع في أي لحظة ، بل لا يخطر على بالهن أنه قاب قوسين أو أدنى، بل غير وارد في خلدهن أنهنّ سيتعرضن يومًا لحريق يجر عليهن متاعبه.

وإذا ما نظرتَ إلى اهتمامات الناس تجدهم في الغالب يميلون إلى زخارف الظاهر دون إدراك ما يخفى من مخاطر ، فإذا كانوا على هذا المنوال فهذا يعني أن المنزل تحف به مخاطر وليس عند الناس لها خاطر ، فهل يعني هذا أن الحوادث ستمهلهم حتى يفيقوا على حادث مفجع من هنا وهناك؟ أم هو الذي سوف يفوقهم ويطرق بابهم أو يقض مضجعهم.

ما بالك ياأخي سيد الدار ويا أختي ست البيت وربّته ؟! لماذا لا توضع في الأذهان سلامة البيوت والاهتمام بها بقدر الاهتمام بغيرها من المظهريات ولو جزءًا يسيرًا من الاهتمام؟ ألا تستحق سلامتُه جزءًا من همك.

فلكي تتمتع بمنزل مريح وإقامة هادئة احرسه، فحارسه بعد الله أدوات السلامة وإجراءات الحماية ؛ فالوقاية من حوادث قد تحيله من عمار إلى خراب، ومن بناء إلى دمار؛ إنه نداءٌ للحفاظ على البيت وأهله. فلا يغيب عن البال أنْ تضع بجانب تلك المقتنيات الحدية ما يحميها إنْ شاء الله، لتأمن الاستمتاع والانتفاع بها، وأن تضع السلامة في بؤرة اهتمامك، وذكِّر زوجك وعيالك وذويك أن السلامة ذروة الأمر في البيت وأمانه سنام قوامه تقلل فرص احتمالات وقوع الحوادث التي غالبًا ما تعود إلى قلة ما يبذل من جهد لدفعها، والإخفاق في التنبؤ بها، كأن نتغافل عن إصلاح ما يجب إصلاحه أولاً بأول وملاحظة الخلل الطارئ واستبعاد التالف واستبداله بالصالح وعلى قدر ما تعمل تجني، وعلى قدر ما تعطي تأخذ.

❋۞❋

أهداف السلامة المنــزلية

لكل عمل هدف، ولكل مطلب غاية، ولكل نشاط مقصد .. فما هدف السلامة في المنزل؟ من المفهوم العام للسلامة نستوضح أهدافها المتمثلة في:

١- حماية أنفس القاطنين ؛ لأنه ملاذهم، ومكان قضاء راحتهم، ومأوى سكنهم، وهدوء بالهم يلوذون به ويحتمون بداخله ، مقر سكنهم، ومزاولة خصوصياتهم، وإشباع رغباتهم الشخصية.

٢- حماية المنزل ذاته وتحريزه من آفات مضرة أو مزعجات مقلقة، وإبعاد شبح المخاطر؛ ليضحى بيئةً منزلية خالية من الأوبئة أو ما يُفضي إلى أذى أو عبث أو مهلكة.

٣- منع وقوع الحوادث أو تقليل نتائجها وتخفيف آثارها.

٤- تحصين المنزل من محدثات الطوارىء المفاجئة التي إنْ لم تطل أفراده فحسب، بل قد تطول تجهيزاته وأمتعته.

فإذن: في مجملها هي أهداف تستهدف:

- حماية الإنسان من المهلكات وحفظ الأرواح.
- حماية اقتصاديات المنزل.
- توفير اطمئنان نفسي واستقرار عائلي.
- في نهاية مطافها ضمان –بعد الله– لحفظ النفس والمال، منْ يستهدفها ويليها قناعته ويُوظفها توظيفًا وقائيًّا يعي أهميتها

ومردودها وما تعكسه على حياته من طمأنينة وأمان من أيّ حوادث قد تحيق به أو تُوقعه في مآزق يبوء به كاهله أو تفقده حياته أو حياة منْ يعول ومنْ يشاركه العيش فيه، وهي أداة حفظ لمقتنياته ومدخرات بيته عدم الحرص عليها تشكل خسارة قد لا تعوض بسهولة ، فالسلامة فالسلامة بهذا منطوق ذو منظورين:

- منظور إنساني.
- منظور اقتصادي.

وهما المنظوران المُعبَّر عنهما في قوله تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[1]

❋ ۞ ❋

[1] سورة الكهف، الآية: ٤٦.

السلامة واقتصاد المنـــزل

ظل الإنسان يكافح ما وسعه الجهد لتحصيل كسب مادي يُذلل به مصاعب الحياة وتوفير دخل معقول وتأمين سبل العيش له ولأسرته.

ولكي يصل إلى مراده فعليه أنْ يهيِّئ بيتًا مستقرًّا يحقق ما يصبو إليه، ومع تقلّب الأيام يدخر قدرًا من دخله ؛ لتحقيق ذلك المطلب الضرورة كهدف يسعى إليه، يكابد المتاعب من أجله ويستقصي أقصى البذل؛ لتوفير المال قدر المستطاع؛ لبناء سكن يجد فيه راحته ويؤمّن مستلزماته.

إذن: المال هو الوسيلة التي تحقق تلك الأمنية، وبدونه لا يستطيع أنْ يقيم منـــزلاً أو تكوين أسرة أو توفير مستلزمات العيش الآمن في بيت آمن.

وإذا كان القصد الأول حفظ النفس فإن المحافظة على الممتلكات هي أيضًا القصد الثاني من مقاصد الشريعة، ويأتي البيت في ذروة مقصد المال من حيث سلامة بنائه وتحصين أروقته ومحتوياته ومقتنيات المعيشة فيه ووسائل الانتفاع بها، كونها ممتلكات يلزم رعايتها والحفاظ عليها، وهي نعمة من نعم الله على الإنسان، ومتاع من المتع التي هيَّأها الله لعباده – صيانتها مكفولة– وعدم تعريضها للضياع ملزوم به . فإذا كانت السلامة مطلوبة لحماية الأنفس فهي بنفس القدر مطلوبة لحماية البيت الذي قد لا يتسنَّى له تعويضه بسهولة، وقد لا يستطيع جمع تكاليف بنائه في فترة وجيزة أو توفير ما اقتنى في جولة يسيرة.

فكلما حرص الإنسان على بيته وتعهده برعايته، فهو –بإذن الله– سوف يصيب الحسنيين: سلامة الأرواح وسلامة المنزل، ليضمن بعد الله استمرارية الانتفاع به وبأدواته وبأجهزته وآلياته؛ لتصبّ في اقتصاد المنزل؛ حفاظًا عليه وعلى محتوياته، فيحفظ النفس والمال.

وهكذا يستطيع الإنسان أن يوفِّر ماله ويعزز اقتصادياته، وبحبوحة عيشته ورفاهية عياله، وألاّ يركن فيها إلى الإهمال وعدم توقع الحوادث، وترك إشارات الخطر دون تدخّل ومعالجة وقلة الاهتمام بالصيانة، والحذر قدر المستطاع؛ لئلا تقع الحوادث فجأة، ويحل الخطر حدثًا مهلكًا للنفس، أو متلفًا للمنزل أو جزءًا منه –لا سمح الله–، وفي كلا الحالتين خسارة وأي خسارة!

وعلينا أنْ ندرك أن أيّ حادث يقع في المنزل مهما كان بسيطًا فإن نتيجته مؤرقة، فإنْ شاءت أقدار الله ألاّ تصيب النفس والمال فإنها على الأقل تسبِّب فجيعة وألماً وفزعًا مروعًا، فالمال والنفس صنوان الحياة في المنـــزل، وعدم الحفاظ عليهما يعني تعريضهما لخطر الحوادث، والبديل هو إقصاء الحوادث، فالسلامة لا تحقّق نفسها بل هي منوطة بالإنسان يحققها ليسعد بها .

فاحفظ عليك نفسك وعيالك، وصُنْ بيتك الذي جمعت له المال لتقتنيه، واعلم أن ما بنيته في سنين يمكن أن يُهدم في سويعات. فما أصعبَ البناء! وما أسهل الهدم والضياع!

هكذا تكون السلامة وِجَاءً من مُلمَّات الحوادث وموئلَ طمأنينة من مآلات الخطر، فمن سلم أمِن، ومن أمِن اطمأنَّ، ومن اطمأنَّ سكن فارتاح واستراح، ومن توفَّرت له تلك المسكونات رضي، والرضا سعادة.

إذن: السلامة محصلة لسلسلة من التوابع يقوم بعضها على بعض تتمخض عنها مقامات الأمان على النفس والمال والعيال، فيأتي مطلب السلامة في أولويات متطلبات المنازل، فإنْ حققت عوامل السلامة طردت عوامل الخطر، وندر شؤمها، يبيت الإنسانُ خاليَ البال، قرير النفس وقد هيأ تدابيرها، بمعنى أن الإنسان عمل ما باستطاعته. أما نتائج عمله فهي مرهونة بقضاء الله وقدره، فالسلامة شريان الحياة، فإذا انسد الشريان توعكت الحياة، وكان البيت عُرضة لمخاوف الحوادث، وبذا تضحي السلامة صمامَ أمان في غيابها تستحيل الطمأنينة، وهي بذلك مظلة يتفيَّأ الإنسانُ ظلالها في منـــزله .

فمنْ أحس بما يشكل خطرًا عليه أن يبادر بمعالجته، وهو شعور تلقائي في بني البشر حتى الحيوان عندما يشعر أنه غير آمن يهرع إلى جُحْره أو يعود إلى كهفه طالبًا الأمان بالابتعاد عن الخطر؛ خوفًا على ذاتها وحماية لصغارها، فما بالنا بالإنسان الذي أودع اللهُ فيه حسًّا بمثابة مجسات استكشافية للإحساس بالخطر؛ ليدرأ الخطر عن نفسه وعياله ومورد رزقه ومكان راحته ومقر استكانته؛ تفاعلاً مع غريزة حب البقاء؛ حذرًا ووقاية من كلّ ما يشكل تهديدًا على حياته ومستلزمات إقامته.

وعلى الإنسان أنْ يعي أن في الحوادث خسرانًا، وأن في السلامة أمانًا، فإذا أردتَ معالجة المرض عليك أنْ تبحث عن العرض.

❁❀❁

في بيتنا خطر

في غمرة الحياة وخضم السعي وراء العيش والبحث الدؤوب عن المعايش، ينشغل الفرد بمطالبها ذهابًا وإيابًا، شغلًا وانشغالًا، منهمكًا وراء الكسب وما يؤمِّن العيش الكريم، منشغلًا فكره بما يُرفه حياته ويبهي صورها زخرفًا وجمالًا زينة وبهاء وإشباعًا لغرائز وتلبية مطالب تشرد بهم أحوالها، وتورد بهم مسالكها؛ لتكون الحياةُ عامرةً بوسائل العيش والترفيه وما تزخر به من ماديات وتجهيزات ، وبما أن لكل ظاهر باطنًا، فقليلٌ فقط من يستوضح الخوافي ويستجلي البواطن الكامنة من المخاطر، وما يختبىء من المفاجآت.

– فتلك الكهرباء مثلا نستضيء بها ونستخدم طاقتها، ونعوِّل عليها في كثير من الاستخدامات اليومية، لكننا لا نراعي ضوابطها وتفقدها واستخدامها على الوجه السليم بينما في ثناياها كوامن خطر ذات عواقب وخيمة بسبب أطفالنا أكبادنا الذين يمشون على الأرض هم معرضون لسقوط من مرتفع أو انزلاق في أرضيات مبللة أو يلحق بهم ضرر من لعبة لا نلحظه إلا بعد أنْ يطولهم أذاها، ملاحظتنا ضعيفة وضعيفة جدًّا إزاء الانتباه لها – وعلى مثل هذا وذاك مما تعرفه وما لم يمر عليك فلا يعزب عن بالك أن بيتك فيه من المخاطر ما الله به عليم.

فلا تكُن عنه لاهيًا وعن أخطاره ساهيًا، لا تكن في مشاغلك منهمكًا لدرجة تُلهيك عن سلامة بيتك وفي زخم الحياة ماضيًا ،

والخطر من حولك وفي عقر دارك حاوٍ، يتربص بك حريقٌ من حيث لا تدري ، فهذه عادة لا تعلن عن وقتها مع أن لها مؤشرات وبوادرَ ، منْ يستلهمها -كفاه الله شرها- وإنْ استبقيتها وأنت مشغولٌ عنها قد يحين وقوعها في وقت ليس على البال ولا على الخاطر، يباغتك في يقظتك أو نومتك، في لهوك أو انشغالك، إذا فارت شعلتها ولم يكُنْ لك من الله عاصم منها فسوف تصطلي بنارها وتبادرك حرارتها، قد تفقدك حياتك وخسران ذاتك ومن ولاَّك الله أمرهم، فتكون قد أضعتَ الأمانة فيهم، والسبب غفلة أو سوء تقدير وانشغال أو توانٍ واتكالية.

فيا هذا وذاك، اعلم أن في بيتك خطرًا تنبَّأ به قبل أنْ ينبئك، وتُوقعه قبل أن يُوقعك، واسبقه قبل أنْ يسبقك! في بيتنا خطر ينبغي أنْ نعيشه قبل أنْ يعايشنا!

دعونا نراجع عادتنا في مزاولة بعض الممارسات التي تعوَّدنا عليها، والتي أحيانًا تكون سبب النكبة بحادث مؤرق، أو كاد يُوقع حدثًا يفاجئنا.

فنحن نقضي جلّ وقتنا في المنزل خاصة إذا كان أجدن في إجازة أو قضاء فترة نقاهة أو استشفاء من وعكة أو الخلود إلى راحة أو مستغرق في متابعة برنامج تلفزيوني، أو منكب على تغريدات الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) ومنهمك في كتابة دردشات على Whats App وما ماثلها من قنوات التواصل الاجتماعي، أو ربما يقرأ كتابًا أو يكتب في موضوع أو يحلل واقعة أو.. أو.. إلخ.

هذا الانهماك أو الاستغراق يُلهي البعض عن ملاحظة ما يستحق الملاحظة وما يحتاج إلى إصلاح وإبدال من أجهزة وأدوات والتحرك نحو معالجتها، يتركها دون تدخل مع ما فيها من سوء عاقبة وتنذر بحوادث مؤسفة .

ماذا سيقول المرء لنفسه؟ إذا ضاقت عليه دوائرها وحاق به بؤسها . أي ملام سيوجهه لذاته؟ وأي عتاب سوف يغور بداخله؟ وأي توجع وتوعك سوف يصارعه؟ أو أي شعور سينتابه؟ ستعاتبه نفسه. يا هذا كسلتَ فتهاونتَ، وغفلت فخسرت، ولم تقدّر النتائج فندمت وخسرت أعزّ ما لديك، وفقدت أثمن ما عندك ولدت فيك حسرات وزفرات. مشاهد الحريق تدعوك تقول لك في صمت أصلح وتصالح مع بيتك وأهده نزرًا بسيطًا من الترقب والتوقي كي لا تكرر غلطتك .

الحوادث لا تراعي كبيرًا ولا صغيرًا ولا غنيًّا ولا فقيرًا، غذاؤها الإهمال والغفلة والتوهان عن إدراك ما يجب إدراكه، ومعالجة ما يمكن معالجته دون تردد أو تباطؤ أو لامبالاة بما سيكون عليه الحال، وعدم الحذر مما يجب الحذر منه، وإيلاء الأولويات أولياتها، والاحتراز مما يعكر صفو الحياة، والحيطة مما يُولد الضيق والخسران، والتهاون فيما لا يصح التهاون فيه، ومبادرته قبل أنْ يضحى خبرًا ويحل حدثًا.

كلّ ذلك دليل صريح على عدم العناية والحرص بكفاية، وعدم اتباع توجيه المولى في حفظ الكيان الإنساني، وعدم تعريضه لمضرة أو إصابة بأذى، وعدم المجازفة بالنفس لمهلكة والأموال

لمضيعة؛ ذلك أن الإنسان مكلف بإحاطة نفسه وماله وما تؤول إليه رعايته بأسباب الحفظ وموجبات الحذر، كما أن عدم الأخذ بأسباب مهلك وعدم الاحتياط مخسر.

وفي نفس الوقت هي دليل فطنة من أخذ بها ومن غلب عليه حذره فقد تجاذب مع فطرته، فمنْ لم يحذر فقد ترك بابه مفتوحًا للخطر، ففي الأولى غنيمة وأي غنيمة يحصل عليها الإنسان أكثر من سلامة نفسه وبيته وماله وولده، وفي الثانية خسران وأي خسران في الحوادث.

فالسلامة ذخيرة حياة وجليل مكسب؛ لأنها قاعدة الانطلاق إلى رحاب العيش، يتسلح بها منْ حملها وتوكل على الله بها، فالتواني والتراخي في حزم الأمور قبل أنْ يستفحل أمر فيه خطورة، وأيّ خطوة أبلغ من تركها تتفاقم حتى تتحول إلى حدث مؤلم فيتوانى عن دفعها. فالحوادث -كما أشرنا سابقًا- لها مؤشرات منْ التقطها وبادرها فقد كسب، ومنْ أدار لها ظهره وزاغ عنها بصره فسوف تحلُّ عاجلاً أو آجلاً إلا أنْ يشاء الله ألاّ تقع، فلله في أمره شؤون.

دعونا نراجع أنفسنا ونتحاسب مع عاداتنا ونتخلى عن سلوكياتنا في التواني والتراخي والإهمال والتقاعس والغفلة وعدم التواكل والاتكاء على ظاهر الأشياء دون تحسُّس سوئها وتوخي الحذر منها، فيقع الإنسان من حيث لا يحسب لها حسابًا، ولا يعطيها اهتمامًا أو يُوليها عناية.

❋ ۞ ❋

حاجة الإنسان إلى السلامة

يحتاج الإنسان إلى السلامة؛ كونها تشكل قاعدة الانطلاق، تسمح له بمزاولة نشاطاته البشرية، في غيابها لا تستقيم حياة الفرد أو الجماعة؛ ليعيش في ظلها حياةَ العافية من ضرر يداهمه أو حدث يُلم به، فلا أمانَ في حال محفوفٍ بخطر، يدركه بنزعته، يندفع إليه تلقائيًّا، يلمسه بجوارحه الظاهرة أو بحواسه الباطنة، هي بمثابة مجسّات حسيَّة يدق ناقوسها كلما تلمست خطر، أو حاق نذير شؤم.

ففي ذلك الحال يشعر الإنسان بانقباض داخلي يُدْخله في دوامة القلق، إنه نبض الخاطر يدق ناقوس الإنذار، يحثه على البحث عنه؛ لمنع حدوثه، فإما أنْ يتجاوب معه، فيعمل على اتخاذ إجراءات ضده، أو لا يتجاوب معه فلا يعمل على منعه فيقع في دائرته.

فالسلامة أنْ يسلم الإنسان من أي ما يعكر صفو حياته؛ لتحقيق ذاته وضمان عيشة هانئة، وبقاء هادىء خالٍ من الأذى، وكرهًا في الاضطراب، وعلى هذا يأتي عامل السلامة حاجة مُلحَّة يؤكد ضرورتها؛ فهي مطلب ضرورة في تأكيد حاجاته الأساسية من مسكن ومأكل ومشاغل وتوفير خدمات ورفاه عيش والبحث عن مكاسب ومنافع؛ ليكون في مأمن مما يهدده.

فإنِ اطمأنّ على سلامته ضمن الأمان المرتبط بحياته، فالسلامة تعبير عن حالة شعورية نفسية من رعب المحدثات، وهي مطية

انطلاق لإشباع دوافعه الغريزية، ليسعى سعيه بأمان، ويمارس أنشطته بسلام، مما يهدد معاشه أو يزعزع استقراره، فتضحى بذلك محرك دفع قوي للتعايش مع مكونات الحياة؛ ليتحرك الإنسانُ في محيطه آمنًا من غول الحوادث وشبح المخاطر، خليق بالإنسان أنْ يستحضر قيمة السلامة وتوثيق بنودها، وعلى قدر ما يولي اعتباراتها، تكون سلامته ومن لم يُولها حقها فذلك يعني أنه يجازف بضروب حياته.

فمن الناس منْ يعظم شأنها يستدر نفعها، ومنهم منْ يستهين بها ويغيب عنهم قسوة نتاجها وفظاعة مردودها، يضعونها في موضع احتمال عدم الوقوع في حين ما تلبث أن تتفاقم حتى تتجاوز نقطة لا تقبل المعالجة، فيحدث الحدث الذي كان في نظره احتمالًا مُؤجلًا فإذا به واقعًا مؤرقًا .

فالسلامة مظلة تولد أمانًا وعدمها يورث بؤسًا. فأيهما أحقّ بالاتباع؟ أليس مظلة السلامة؟ نعم. فحسبنا منها أنها مستحث شرعي وداعٍ إنساني، ومبدأ معاشي، وواقع حياتي، وهاجس غريزي، ومطلب فطري، لا تكرس نفسها بنفسها، ولا تستوي على عودها ما لم يكرسها الإنسان ذاته، ويفعلها بنفسه، واعتمادها جزء أساسي من أساسيات معطياته منسجمًا مع كيانه المرتبط ارتباطًا وثيقًا بها، ومنها تنبثق روعة الوجود، لتبذر روع البقاء.

فلا يتهاون الإنسان ببوادر خطر مهما كان صغيرًا، فالصغير يكبر ويورث هلاكَ نفس أو تلفَ مال أو دمارًا مكتسبًا، في أفقها ينمو الحاضر، يتهادى المستقبل برعاية الله وحفظه الذي حثّ

عباده على رعاية سلامتهم، وأودع فيهم مجسات تجسّ الخطر، وألهمهم إلى أسباب النجاة من تبعاته.

فلا سكونَ في غياب السلامة، ولا سلامةَ في غياب الاحتراس ، وهي على هذا النحو تبدو محصلة من ثلاثة أبعاد:

- بُعد زماني.
- بُعد مكاني.
- بُعد نفسي.

فالزماني يمثل جانب الوقت من حيث التجاوب مع نُذر الحدث وإثاراته، فكلما كان التجاوبُ سريعًا كانت المعالجة في وقتها المناسب قبل أنْ يتفاقم ويصعب معالجته، أو يتطلب مشقة لعلاجه، والمعالجة تتضمن أيضًا استجابة فورية للتعامل السريع مع الحدث إذا وقع، وهذا لن يتأتّى إنْ لم يكن هناك استعداد مسبق بأدوات تفعيل، كأداة مدافعة ومقاومة يستخدمها في الوقت المناسب؛ لمنع وقوع الحوادث أو مدافعتها إذا وقعت كطفاية حريق مثلًا إن لم تكن موجودة في المنزل، فكيف يمكن السيطرة على الحريق والتدخل الفوري والقضاء عليه في الوهلة الأولى لوقوعه وإلا سيتفاقم وتقع أضراره وخسائره؟ فبقدر ما تكون المسارعة للمعالجة تكون السيطرة.

والمكان يمثل موقع الحادث، وظروف وقوعه، فحوادث المنازل عادة ما تكون مباغتة خاصة إذا وقعت في ساعات الاسترخاء وأوقات الراحة، وهما صفتان ملازمتان للمنزل؛ لأنه مأوى الراحة ومكان استكانة، ففجائية وقوع الحوادث قد تشل حركة التصرف

في المنزل، مما قد يؤدي إلى اللجوء إلى تصرفات عشوائية كرد فعل سريع؛ خشية من اتساع نطاقه فتأتي ردود أفعال تجاهه مرتبكة تقلل من فرص إمكانية التغلب عليه واتقاء شره.

وهنا نود أنْ ننوه على عفوية السلوك البشري عند وقوع حوادث الحريق، ومهما كانت درجة الخطورة المصاحبة لحوادث المنازل فهي مفجعة، وأفجع ما فيها حوادث الحريق.

إن مجرد رؤية اندلاع نار أو دخان أو الإحساس بها، أو حتى إطلاق صيحة بكلمة نار أو حريق في هدوء البيت، فهو في حد ذاته أمر مثير للخوف وشعور بالرعب يحوِّل جو الهدوء إلى انزعاج، فتتداعى الصيحات، وهنا يدب الارتباك والهلع.

وقد كشفت الأبحاث في بعض الدول المتقدمة حيث أجريت استطلاعات لرصد ردود أفعال حوادث الحريق، فوجدوا أنها غالبًا ما تتسم بتصرفات عشوائية مما يزيد الأمر سوءًا في كثير من الحالات، ويزداد الموقف صعوبة إذا وقع في دائرته الصغار بما يركز نوبة الفزع عليهم وبالأخص ما ينتاب النساء من روع شديد، وتعالي الصيحات لا سيما إذا صوحبت بطلب الاستغاثة.

الكثير والكثير لا يضع مثل هذا الموقف في اعتباره، فقد تأتي تصرفاته بما يزيد الأمر سوءًا ينتج عنها حوادث جانبية أفدح من الحريق نفسه، فلنأخذ من السعة إلى الضيق، ونضع في حسابنا مثل هذه المواقف؛ لنتفادى الوقوع في زوايا الحوادث الضيقة.

أما البُعد النفسي: فالإنسان بطبعه يفزع مما يُشكّل خطرًا عليه، وينتابه الخوف كلما ضاقت دائرته، أو لمس أثره ، فيصيبه الهلع

ويستولي عليه الفزع، تأتي تصرفاته تبعًا لها عشوائية وغير مركزة، فقد يكون أمامه وعاءٌ به سائل يعتقد أنه ماء يصبه على النار لإطفائها، فإذا به سائل مشتعل، فيدلقه على النار فتزداد اندلاعًا، أو ربما تشتعل مقلاة (طاوة) على موقد الغاز في المطبخ، فتسارع المرأة في المطبخ لإطفائه بالماء فيزداد التهابًا، أو بسبب الارتباك تسارع إلى إغلاق أسطوانة الغاز فتفتحها فيزيد النار اشتعالًا. وتصوَّر مثل ذلك الكثير من الأخطاء العشوائية.

❃ ❀ ❃

ماذا يمثِّل البيت من أهمية للإنسان؟

أليس هو مكان معيشته الشخصية، ومقر مزاولة خصوصياته وخلوته بأهله؟ فهو إذن موضع اهتمام ورعاية تتجلى فيه الخصال الآتية:

- ملاذ الأمان من مضار مضرة وموئل سلام وقرَّة.
- وقاية النفس والأهل من آفات الحياة ومزعجاتها.
- عظم الرعاية له، وتأمين حمايته، ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ، أَحَفِظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَ، حَتَّى يُسْأَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ**".[١]
- إنه مكان لحفظ النفس والنأي بها عن مواطن الهلاك، ومزالق البؤس. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته**"[٢]. وشاهدنا هنا التنويه إلى أن البيت مكان سكون، ولكي يكون كذلك فلا بد من أن يكون بعيدًا عن مصادر القلق والمتاعب؛ كي يستوعب سكونه.
- الناس في الغالب يقضون أوقاتهم داخل بيوتهم خاصة في حالات الحر والبرد الشديدين، أو في حالات الأزمات والطوارىء مما يستوجب الاهتمام به للخلود إليه.

---

[١] رواه النسائي.

[٢] رواه الطبراني.

- وهناك أهمية عامة بالإضافة إلى الأهمية الخاصة، وهي أن رعاية البيت دعامة من دعائم الاستقرار ، حيث تتكوّن منها الأحياء، ومن مجموع الأحياء يتكون المجتمع، فإنْ رعيتَ بيتك والآخر رعى بيته أصبحت البيوتُ مصانة من الخطر الذي قد يداهم أحد البيوت فينتقل إلى بيت مجاور، وهكذا تتأثر المنازل ببعضها سلبًا وإيجابًا.

❋ ✿ ❋

السلامة والخطر

هما ضدان متعارضان فإن أغفل الأول نما الثاني، وحظي بنصيب من الإنسان في نفسه وماله وولده ومتاعه وبيئته، وبحكم مقتضى الحال يستلزم أن تكون السلامة غالية وموضع غلاوتها العناية بها وتغليبها على ما هو ضدها؛ ليعم بها الاستقرار ويعز بها الحال.

ولما كان الكيان الإنساني والمعاش الحياتي قائمًا على ما سخَّر الله لبني البشر من مسخرات لينتفع بها ، ويسخرها لمستلزمات بقائه، يبذل لها جهده، ويعمل لها ما باستطاعته للمحافظة عليها، فلا تكتمل حلقاتها إلا بالعمل لها وبذل أسبابها، فالعمل والبذل حلقتان متصلة أطرافهما لا يقوم أحدهما إلا بالآخر، فالمحافظة على شيء لا يأتي دون عمل، ولا يقوم العمل إلا من أجل الوصول إلى هدف وهو المحافظة عليه.

وبما أن مسار الكد والعيش حافل بفواجع غير منظورة ومفاجآت غير محسوبة وحوادث غير متوقعة، فبعض الأشياء ظاهرها لا يدل على أنها تنطوي على خطورة، نفعها ظاهر، يقبل عليها المنتفع بها مع أنها لا تخلو من خطر إنْ لم يفطن له فسوف ينقلب نفعه ضررًا، وما قد تحدثه من حوادث مردوداتها مهلكة، وإفرازاتها موجعة، ونتائجها مؤسفة، كل ذلك كان سيئه عليه وبيلاً؛ بسبب الاتكاء على الشكل الظاهر دون البحث في الخافي.

فالسلامة من هذا المنظور هي عامل الوقاية من وبيل المحدثات وقبيل المزعجات وحصيد المؤسفات، إذ لا يكفي الركون إلى ظاهر النفع الإيجابي وإغفال الباطن السلبي الذي لا يجب أنْ يغيب عن الأنظار؛ لئلا تفجعك حوادث حريق مباغتة أو سقوط مفجع لطفل أو تسمم غذاء موجع أو هلاك نفس مفجع وتلف ممتلكات ثمينة وضياع أموال نفيسة أو ضحايا مؤلمة، تأثيراتها غائرة، تبقى في النفس قابعة.

فالسلامة والخطر ضدان، فإنْ أهمل الأول استفحل الثاني، تستتشكل به الحياة، وتهددها المخاطر، وتوقع أحداثًا تفسد متعتها.

فإذا كانت الحياةُ مسرحًا كبيرًا -كما يقولون- يمثل فيها كلّ إنسان دورًا من أدوارها الحيوية، فإن السلامة من أهم أدوار الحياة التي هيأها الله للإنسان؛ لتقيه بؤس الحوادث ، يحتضنها بقوة، ويستلهمها بشدة؛ ليستقيم معاشه، ويستظل بظلالها آمنًا مستقرًا من ويلاتها، يبيت قرير العين، ويهجع هانىءَ النفس، يُوليها رعايته، ويتعهدها بفطنة، يستدركها بمدركاته، ويستذكرها بمستلهماته، ويستوقد حسّه؛ لاستجلاء مكامن الخطر قبل أن تستوفي دورتها وتحدث أحداثها فتفاجئه، فيئنّ بها تحت وطأة مفاجآتها، فلا يستطيع لجمها أو إيقاف مدها فتنبهه فواجعها، فيقع في سوء مظنته وسالب توقعاته.

وإذا كانت السلامة محور الحياة التي حولها تدور حياتنا وشؤون معاشنا، فإن محور المحاور يبدأ من سلامة البيت؛ لأنه مرتكز السكينة ومقر الإقامة ومستودع الراحة ومآل الطمأنينة، أمانته

ضرورة، وسلامته مُلحّة؛ حتى لا تغتالها الحوادث، فالحوادث غيلة المنازل، مما يفرض جودة التعامل مع مُستجدات العصر وحديث المقتنيات في عصرنا الحاضر المليء بصنوف التغييرات والتحديثات بإيجابياتها وسلبياتها، فإنْ أمعنا النظر فيما هو إيجابي وغفلنا عما هو سلبي فتلك كوامن الخطر، المتواري عن النظر، بمعنى أننا أخذنا جانبًا وأهملنا جانبًا، بينما ديننا الإسلامي بشموليته أرشدنا إلى الأخذ بأسباب الحماية؛ رعاية للمصالح ودرءًا للمخاطر؛ لاتقاء حوادث تزهق الأرواح أو تعطيل المصالح وإفساد المنافع؛ لتأكيد المراد الإلهي من عمارة الأرض؛ باعتبار أن الإنسان مرتكز حركتها وأداة نموها، زينتها سلامة تشمل نواحي الحياة.

وهذا غاية الحرص على الإنسان ومقومات عيشه وعناصر قوته؛ لتسير الحياة سيرها الطبيعي كما أراد لها بارئها ليحفظ للإنسان حياته، ولعله من أكثر المصالح الضرورية التي يستوجب رعايتها هي المنازل، ففي حفظها حفظٌ من كل شر، وفي صيانتها صيانةٌ لها من غول المحدثات؛ ليسودها سلام يذكي رحب العيش داخلها.

❁❀❁

الخطر

حياة الإنسان بين بُعدين:

- فإما أن يكون سالماً من عناء، في ظله مسرّة عيش وسعادة بقاء، فيبلغ فيه مأمنه من شرٍ يصيبه.
- أو يكون محفوفًا بضنى لا يذوق معه لذة عيش، ولا يذوق طعم الراحة، تلف حوله مكاره، تغشى مساره، يتعثر فيها سلامه.

هكذا ظل الإنسان عبر مسيرة الزمن، يتحرى ما يؤمنه ويُستثار لما يثير مخاوفه، متوجسًا مما يعكر صفو حياته، أو ما يهوي به إلى مهلكة، أو ضياع ممتلك، أو تلف مال، وهو ما يُعبّر عنه بالخطر.

فما الخطر؟

لغة: هو الإشراف على شفا مهلكة للنفس، أو متلفة للمال. يقال: فلانٌ خاطر بنفسه. أي: أشرف بها على ما قد يهلكها. وهو ما يعني أنه لم يراع احتياطات تقيه الوقوع في المهلكة.

اصطلاحًا: حدس يشير لاحتمال وقوع حدث، يتوجس خيفة من نتائجه.

ومن تعريفه نستخلص مفهومه، وهو ما يعني توقع مكروه يوشك أنْ يُوقع حدثًا مؤلماً، يُورث الاضطراب، ويكسر السكون، يُوجب توخي الحذر منه، وينبغي التوقي له، **فإن انعدم التوخي انعدم عامل التوقي.**

إذن: الخطر مرادف عكسي لمعنى السلامة، إن لم تراعَ معايير التعامل معه، سيظل يترعرع ويهدد بوقوع حدث، مما يوجب ألا يُستهان بظهور بوادر الخطر أيًّا كان حجمه.

وفي إطار معنى الخطر فإن المنازل أحد مكونات البقاء ينبغي أن نوليها قدرًا كافيًا من الاهتمام، ورصد مؤشرات الخطر ظاهرة كانت أم باطنة، وعدم التهاون بها؛ لئلا يصيبنا هوجها، وإلا أصبحت أكثر عُرضة له، الأمر الذي يجعلها نهبًا لحوادث، مرشحة أنْ تقع في أي لحظة إذا لم تحمَ بوسائل ويعد لها عُدتها.

فافتقار المنزل لأبسط أدوات السلامة كطفاية حريق، أو وضع سياج واقٍ للمسابح، وكثير من تدابير في مواضع تحسب لها حسابات الوقاية.

فمن المسلَّمات أن ما من إنسان إلا ينشد السلامة، فهو يفزع لمجرد شعوره بما يهدد سلامته، وهو بطبعه يخشى التعرض لما يشكل عليه خطرًا. لكن الفرق بين إنسان يتعرض لحدث وبين آخر يتحاشى التعرض له، فالأول استجلى أعراضه، فأخذ بأسباب تلافيه. والثاني: تغافل أو أساء التقدير فوقع فيه.

❋ ✿ ❋

السلامة والخطر معادلة الحياة

خطان مختلفان، أحدهما يواجه الآخر، فالأول يبني والآخر يهدم، فالخطر إنْ وقع ترتَّب عليه مكاره متنوعة: كوفاة الأنفس، أو إصابات الأبدان، أو إعاقة عن الحركة، أو خسران في الأموال، وفقدان أحباب وخلان. ومنْ لم يصب بأيٍّ من تلك وكتب الله له النجاة فقد يصيبه مرض نفسي؛ جراء هول الحادثة، والأدهى من ذلك حين يتعرض المنزل لخطر متزامن مع وجود الصغار بداخله بينما الأب والأم والإخوان الكبار خارجه. تصور كم من الهلع يصيبهم –خاصة الوالدين– عندما يصلهم النبأ المخيف!

إن مجرد سماع الخبر سيكون وقعه عليهم كالصاعقة، هنا ندرك المعادلة ويكفل لها حقها، فالحياة فيها من الفرح ما يسعد، وفيها من الترح ما يحزن، فإما أنْ تكون سالمة أو خطرة، وبهذا ندرك معادلة الحياة. فإنْ غابت السلامة حضر الخطر، ففي الأولى مكمن السكون داخل دائرة آمنة، ومن لم يكنْ كذلك فهو خارج الدائرة، تلفه لفافات الخطر، وما يترتب عليه من شقاء ونكد، وتكون غمة.

فالعملية إذن ضد بضد، فإما إجراءات سلامة توقي وإما إغفالًا يوقع، فالأمر بين سبيلين: أحدهما لك، وثانيهما عليك، فالزم الأول وتتفادَى الثاني.

وخلاصة القول: ببساطة أنه كلما تنبَّه الإنسان لوجود خطر يعمل على تفاديه، وإلا سيبقى الخطر قائمًا ووقوعه وارد، فأبصر

بعينك، وارع أهلك قبل أنْ يحل هول الكارثة فتصفق كفًّا بكف، تشكي من الويل، يخسرك مالًا وولدًا وسكنًا، تعبت من أجل تحصيلها سنين، وأنفقت عليها الكثير، بغمضة عين وجدت نفسك في خسر، وفي لحظة غفلة وجدت بيتك قد أتلف، وأحاطت بك الأهوال بسبب حادث كان بالإمكان تجنُّبه لو فتحت عيونك وفركت جفونك، وأخذت من وقتك القليل، واستبقت وقوعه بشيء من الاحتياطات الوقائية.

هكذا هي حوادث المنازل، تترك لتتوالى مهيجاتها حتى تصل إلى نقطة اللا عودة، فتقع فجأة، يطول سوؤها من هو في محيطها الذي ظل يتهاون بها حتى ساعته محدثاتها معنويًّا وماديًّا ونفسيًّا.

فإذا وضح مفهوم الخطر، استطعنا أنْ نستوضح ماهية السلامة. فما السلامة ؟

❋ ۞ ❋

السلامة

السلامة حاجة مُلحَّة للبشر، بل حتى للحيوان، لا يقوم بدونها قرار، ولا يتم في غيابها استقرار، في عدمها يحل الفزع وأحداث تجلب معاناة وشقاء.

وإذا كان الإنسان مفطورًا على غرائز يحرص على إشباعها؛ لتقوم حياته عليها كالطعام والشراب، فإن ذلك لن يكون مأمونًا مالم يندرج تحت رداء السلامة واتباع الطرق السليمة لإعداده للتناول الآمن وعلى مثل تتصرف السلامة في مناحي الحياة وشئون العيش والسكن والانتقال وأين ما وطئت رجلاه واستوطن بعيدًا عن خطر وشبح الحوادث ومُلمَّات الألم، لتطمئن نفسه، ويستقيم معاشه، ويستطعم ملذات الحياة، وينعم بنعم الله التي أسبغها لعباده ظاهرة وباطنة، في جو خالٍ من المنغِّصات وشبح الحوادث التي تهدده بخطر موجع أو حدث مهلك.

وعلى هذا جاءت السلامة في سلم أولويات متطلبات الإنسان، بل هي رافد من روافد الأمن الإنساني ومظلة من مظلات الأمان الروحي والاستقرار النفسي والشعور بطمأنينة من حوادث معطبة.

هي اسم جامع لمعانٍ عديدة، أولها الأمن المورث للاستقرار وآخرها المحافظة على النفس والمال والأمان من محدثات تمسّ المعايش بضرر أو مقر السكن بأذىً أو تعيق مزاولة الإنسان نشاطاته ومباحث مسترزقاته وضرورات احتياجاته، وتأمين هيكل حياته .

السلامة مشتقة من السلام الذي هو اسم من أسماء الله الحسنى تقدست أسماؤه، منْ لاذ به أمن من المفزعات واطمأنت نفسه وقرَّ قراره، وهي مفتاح تحفيز قوي؛ لتحقيق الغايات الحياتية وإشباع الغرائز الآدمية والانخراط إلى صروف الحياة بأمان، يتقلّب في مجرياتها باطمئنان.

في غيابها يحلّ شعور القلق والتوتر؛ خشية وقوع حوادث تعيق الحركة وتحدّ من النشاط، وقد تُودي إلى مهلكة للنفس وتلف الأموال والممتلكات ووسائل الرزق، وقد تقعد عن العمل وتكبح جماح الكد والكسب والحد من الطموح.

انظر الى المسلم وهو يردد في صلواته الدعوة لنفسه ولعباد الله بالسلام قائلاً : {السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين}، ذلك يعني أنه يدعو ربه أن يسلمه والمؤمنين من عاديات المضرات والنجاة من المهلكات.

وكثيرًا ما يرد لفظ السلامة مترادفًا مع لفظي الوقاية والحماية، يتداولها الناس بمعنى واحد. فيقال: سلامة من الخطر أو وقاية من خطر أو حماية من خطر؛ لتحمل أيّ منها نفس المدلول في المنظور العام، بينما لو دققنا النظر بتحليل كلّ لفظ على حدة سنجد كلاًّ منها يحمل دلالة جزئية في المعنى العام للسلامة ذات الأضلاع الثلاثة.

وهي: الوقاية – الحماية – التفعيل.

١- **الوقاية:** Prevention تعني الصد–الردع – المنع (وهو التحرز).

وإذا أجرينا هذا المعنى على الحوادث المهلكة للنفس والمال، فيعني نزع فتيل الخطر قبل أنْ تتكوَّن قاعدة احتضانه، وإبطاله في مهده، وهي عملية تحييد حالة الخطر وجعل الموضع المزمع وقايته خاليًا من شبح الحوادث بتعطيل منشأ الخلل بما يشكل غطاء مانعًا ، وهو ما يُعبَّر عنه بعملية تحريز وقائي يمنع احتمالية وقوع حدث مفاجىء ، وذلك في شقين:

- **شق معرفي:** أي دراية بطبيعة الأشياء التي نتعامل معها أو نستهلكها في حياتنا اليومية؛ لندرك طبيعة أخطارها فإذا عرفنا طبيعتها وقفنا على محاذيرها كالمواد الكيماوية والإشعاعية ووسائل الطاقة وما شابهها لنضع أسس الوقاية من محذورها .
- **شق توقعي:** أي ملاحظة مؤشرات تُنبىء بوجود خلل قد يقود إلى وقوع حدث كإشارات ضوئية أو أصوات غريبة أو حرارة عالية أو فقاعات وانبعاثات وأبخرة أو فوران وظهور فقاعات وغليان .. الخ.

  إن تلك المؤشرات نذيرُ وقوع خطر قد يكون سببًا في وقوع حادث بعد أنْ تكتمل مكوناته مما يدفع لضرورة استباقه لمنعه من الوقوع وهو الوضع الغائب مع الأسف عند كثير من الناس.

٢- **الحماية:** Protection وتعني مدافعة الأذى ومقاومته. وهي الضلع الثاني في مثلث مفهوم السلامة، أي اتخاذ مبادرات بأدوات حماية بوحي من الإجراء الوقائي السابق، وهي ما نطلق عليها بتدابير الحماية كوضع أجهزة إنذار مبكر بوقوع حريق، وأجهزة

كشف الدخان، وأجهزة حساسات حرارية ... الخ توفير وسائل مقاومة. أي حالة استعداد لمعالجة الوضع إذا شاءتْ الأقدار أنْ يقع حادث.

٣- إلمام وأداء : (تفعيل)

تكتمل العملية بالضلع الثالث في مثلث غطاء السلامة، فإنْ أوجدنا أدوات الحماية يجب أنْ نتأكد من كفاءة أدائها، والإلمام بطرق استعمالها في الوقت المناسب، وإلا ما فائدة طفاية حريق مثلًا إذا أوجدناها ولا نعرف طريقة تشغيلها فكأنها لم تكن؟!

إذن: نخلص إلى ترتيب منطقي لاحتواء الحوداث من خلال غطاء السلامة .

- فالوقاية تعني منع وقع الحوادث بمعالجة الأسباب من خلال استشعار مؤشراتها كإجراء استباقي، وهو دائرة أولى لمنع تكوّن السبب المؤدي إلى حدث.
- ثم يتبعه مباشرة اتخاذ تدابير الحماية، وهي دائرة ثانية أي تجهيز وسائل من أدوات وأجهزة لمقاومته (أي آلية مكافحته).
- ثم إلمام وتفعيل وتشغيل، يدخل من ذلك صيانتها، وطريقة استعمالها، ووضعها في حالة الاستعداد الدائم عند وقوع أي طارىء؛ ليسهل تناولها.

تلك الأضلاع الثلاثة : صد يمكن اختزالها فيما يلي : منع تكوّن السبب، فمدافعة بأدوات،ثم تفعيل أداء المكافحة، فإن خط الدفاع الأول لمكافحة الحريق يبدأ من الوقاية -تردفها الحماية- ثم يفعلها

الأداء نتائجها النهائية = سلامة. أي التعامل مع الحوادث قبل وقوعها وبعد وقوعها .

هذا التفنيد يقودنا إلى خلاصة مفادها أن منْ ينشد السلامة عليه أنْ ينظر إليها من زاوية الخطر متوقعًا حدوثه؛ ليتأهب لجعل السلامة غاية بأطرها الثلاثة المتسلسلة المتمثلة في منع تكون السبب بالوقاية، ثم معالجة مقاومته في مهده بالحماية، ثم تفعيل الأداء. فالأول إجراء استباقي، والثاني إجراء احتياطي، والثالث إجراء تفعيلي.وباكتمال نصاب أضلاع المثلث ينتصب هرم السلامة لتحتوي المخاطر قبل أن تقع موقعًا مأساويًّا من عباد الله . ولا تقوم إلا بتضامنهم معًا ، فمنْ لم يتوفر فيه خشيةٌ من الخطر فهل تراه يوفر أدوات الحماية؟! وإنْ وفّرها دون تفعيل أداء هل تراه يستطيع مقاومة الحدث دون علم بطرق تشغيلها؟

وقديمًا قالوا: منْ خاف سلم. والخوف هنا عامل التوجس الذي يستشعر الخطر، يبدأ من الخط الوقائي الأول فيعمل على معالجته وإبعاده عن ساحته ، فمنْ لم يكُنْ إحساسه مرشده فليس له بُدٌّ من وقوع الحوادث إلا ما شاء الله، فهو سبحانه الواقي وهو الحامي وهو المنجي، فمنْ يحط منزله بسياج السلامة، فقد عمل لها عملها وأخذ بأسبابها متوكلًا على الله من قبل ومن بعد ، فالتوكل يقتضي الأخذ بالأسباب ولا يتنافى معه ، وهي بهذا المعنى تتحقق بأضلاعها:

- فلو ضربنا الوقاية × الحماية. فحاصل ضربها أمان.

- ولو جمعنا إجراءاتها + وسائلها. فحاصل جمعها كبح جماح الحوادث وقهرها عند نقطة بدايتها.

إذن: السلامة محصل مثلث أضلاعه{وقاية – حماية – تفعيل} تتكامل لتعطي ضمانة –بإذن الله– بسلامة عامة، وإنْ سلمت من الغفلة والإهمال، محصلها إحساسٌ وقائي بالأمان من غول المحدثات والفواجع المؤلمة.

وبهذا يمكن أنْ نضع السلامة في قالب اصطلاحي من قبيل أنّ لفظها القولي يدل على معناها الاصطلاحي، فإن قلت: سلامة. فأول ما ينصرف إليه المعنى الخلو من الآفات والمضار، حيث يتبادر إلى الذهن المعنى اللفظي الدال على وجود وسط آمن، فيكون المعنى اصطلاحًا:

مظلة تستقر تحتها دلالات وقائية وحمائية وتفعيلية؛ لتكوين محيط سالم، لا تنزل الأحداث ساحته، خالٍ من الآفات والمضار.

وهي بهذا تشتمل على معاني الطمأنينة والأمان وهي عماد الحياة، وركنٌ من أركان العيش وموجبات البقاء، والإنسان بفطرته ينزع إليها في أي موقع ابتداءً بمقر سُكناه؛ لتأمين أقصى درجات سلامته، فمنْ تبناها دخل تحت ظلالها وأحاطه أمانُ الله في منزله، ومنْ لم يتبنَّها حلّ محلها عكسها وظل الخطرُ قائمًا والحوادث واردة ولا مناصَ من احتمالات وقوعها.

إذن: السلامة في عالم الإنسان مراد أساسي للنأي عن المحدثات المفزعة التي تُعيق مسيرته؛ ليبلغ بها مقاصده، يسكن بها قلبه، ويهدأ باله، ويستقر حاله، ويطمئن على مساره، وإشباع دوافعه

التي يأتي الأمان على رأس قائمتها، فهي فألُ خيرٍ وجلبُ نفع، ودافع للانطلاق وساحة نجاة. فهي شعور بالأمان من الخوف، ومن الأهمية بمكان تحسُّس ما يثير الخوف ويُوقع الضرر في المنزل؛ للتوقي منه وتلافي وقوعه، فهي مجال لكل المجالات واعتبار قبل كل الاعتبارات.

ولئنْ كان هذا التصنيف من اختصاص الباحثين والمشتغلين بهموم الحوادث فإن القارىء قد تتداخل عنده معاني ترادفات الألفاظ بمعنى واحد، لنقل الوقاية والحماية نهايتها سلامة فهي مشتركة المدلول، فإنْ قلنا: وقاية أو حماية فكلاهما يُوحي بالمعنى الشائع الذي انطبع في الأذهان بمعنى السلامة.

ومن سياق الحديث عن الحوادث والتوقّي من وقوعها نصل إلى محصلة نهائية لمفهوم السلامة، فعندما نقول: فلان سلم من مرض، أو سلم من أذىً أحاق به، فقد عوفي ونأى عنه، فالاسم سلامة، وهي تعني البُرْء من الخطر الذي كان يهدده أو كاد يحيق به استطاع أنْ يُحيّده أو يُبعده عن دائرته فهو سالم بإذن الله.

فالأمر هنا بين متقابلين: خطر، واتقاء خطر. ومن شرح مفهوم السلامة نصل إلى تعريفها.

تعريف السلامة: هي سقف عام لأمان من وقوع الحوادث، والبرء من المضرات والآفات المتلفة والمحدثات المهلكة.

وتتنوع حقول السلامة بحسب مقاصدها ومشتملات وجوهها من حيث سلامة الضرورات الشرعية والمجالات الحياتية، فبالإضافة إلى سلامة النفس والمال هناك سلامةُ البيئة وأسباب العيش

ومتطلبات النشاطات ورعاية تصاريف الحياة ومتعلقاتها لتشمل الإنسان ومحيطه التي بها يضمن بعد الله سلامته من آفات الحوادث .

فالسلامة حاصل جمع أسلوب ووسيلة ويقظة وإدراك وإلمام ونبذ إهمال والتخلي عن تقاعس وغفلة أو تهاون ولامبالاة أو إرجاء اتخاذ معالجه، كي لا يعطي فرصة للحوادث، في حين بالإمكان منع وقوعها بقليل من التبصر وحس مدرك لماهيتها وقفل أبواب شرورها.

حقائق منطقية تعلل استحقاق السلامة :

أعطِني يقظة أعطك سلامة.

اصرف إهمالاً ينصرف لك ندمًا.

السلامة – الوقاية – الحماية. مترادفات تصنع فعال حياتك.

❋ ۞ ❋

التأصيل الشرعي للسلامة

أتت الشريعة الإسلامية منهجًا صالحًا لكل زمان ومكان، تلك حقيقة وعين الواقع، فعلى مرِّ الزمان كان الإسلامُ قابلًا لاستيعاب الجديد، في مضامينه حلول لمشكلات التحولات المعاصرة، تجمع بين الجوانب الإيمانية والتعاملات الاجتماعية وضرورات الحياة، غايتها مصلحة العباد، وحفظ كيانهم وصيانة عناصر معاشهم، ففيه سعة لا تضيق بجديد المعاصرة من خلال نصوص شرعية في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ترشد العباد إلى ما يمكن أنْ نطلق عليه بلغة العصر بتقنيات تقيهم بأس الأحداث ومهددات الأخطار التي تُودي بحياتهم وتتلف محاصيلهم وما يوحي بإيلامهم. حيث ركّز الإسلام بقوة على ثوابت يسلم الإنسان بأس نفسه رحمة بالعباد ورأفة بضعفهم، يحضّهم على الأخذ بها وجعلها مبدأ يصبو إليه ميولهم لتأمين سلام الحياة في مختلف تقلباتهم.

ومن عموم لفظ السلام جاء اشتقاق لفظ السلامة، وهو اسم من أسماء الله الحسنى تباركت أسماؤه ، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1] ، فلا

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

يختلف اثنان على أن السلامة تستأثر على قدر كبير من الأهمية، وتستحوذ على مساحة من هواجس البشر بما تُشكله من قيمة عالية تؤطر حياتهم وتصون معيشتهم؛ ليستقر أمانهم النفسي والمعيشي، مضبوطةً بجملة من القواعد تحميهم من ويلات المهالك؛ حفاظًا على النفس والمال والعيال ومكتسبات الأقوات؛ ليحيا الإنسانُ حياةً لا يمسها نصب الحوادث، أو يلحقها وهن الأخطار؛ كي لا تقوض حركته أو تعيق سعيه وتُذهب نفسه وماله، مستأمنًا بسلامة الله لينصرف إلى كسْب قوته في غير خوف يصيبه أو ريبة تروعه، يحيد بالخطر عنه جانبًا ويبعد شبح الحوادث التي تضطرب بها أحواله أو ما يفسد بقاؤه.

ولم يرد لفظ السلامة في القرآن الكريم نصًّا ولكنه ورد اشتقاقًا من لفظ السلام، وهو اسم لمعاني الأمان وسلام من شبح الخطر ومعاني الهلاك، فقد ورد اسم السلام في الذكر الحكيم في (١٣٢) مئة واثنين وثلاثين موضعًا، ومع تعدد مواضع ورودها فإن مدلولها واحد وإن اختلفت مناسبات الورود. أي الأمان والخلو من تداعيات ما يثير الخوف والرعب والفزع أو يورث الفواجع المهلكة والمضرات المؤذية.

ذلك أن السلام كلٌّ لا يتجزأ ومنه اشتقت السلامة، مقتضاها ضرورة على مستويات حياة الإنسان وحفظ ما هيأه الله من نعم. فمنْ سلم أمن ودخل قلبه الاطمئنان، فالسلام النفسي مرتبط بالسلام المكاني في منزل مأمون من خطر سليم من حدث؛ ليحيا حياة

رغيدة، يحوِّل أحلامه إلى حقائق في ظل شرع الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، يتوخّى الحذر ويتوقّى من خطر.

وسوف نحاول رصد الأدلة على أن السلامة أمرها عظيم وغايتها كبيرة؛ ليرعاها الإنسان رعاية خاصة، ويُوليها أهمية درايته، غير مفرط فيها لئلا يصيبه مكروه الحوادث.

فمن وحي الذكر الحكيم وسنة المصطفى الأمين ووصايا صحابته الأكرمين الذين نهلوا من منهل مدرسة النبوة، نُورد:

أولاً: من وحي الذكر الحكيم: قوله تعالى:

١- ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠ ﴾[1] .

يقول الشيخ الشعراوي: "يخبر تعالى أنه ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وفيما يحبون، أو ما هو عزيز عليهم إلا بسبب ما قدَّمت أيديهم من السيئات" .

وإذا أخذنا بقاعدة العبرة بعموم القول لا بخصوص السبب فإن ذلك ينسحب على حياة الإنسان من حيث متطلبات سلامته وأمان كيانه، إن أهملها ولم يسترشد بالهدي القرآني ويراعيها فهذا يعني أنه ليس ببعيد من دائرة الخطر والفرصة مهيأة لاحتمال وقوعه، وتحلّ به مصيبة الحوادث إنْ لم يتزود باحتياطات مناسبة.

وفي معنى الآية حثٌّ من المولى عز وجل على أن الإنسانَ مسؤول مسؤولية مباشرة عن دفع المصائب والنظر إلى ما يحيق

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

به من مخاطر يحتاط ضدها بوسائل وقاية وأدوات حماية وأساليب مكافحة؛ لمنع وقوعها قبل أنْ يقع كابوسها، وإلا فجع بها يصارعها وجهًا لوجه، فإن لم تقع اليوم فاحتمال وقوعها وارد. فقط احتمالها مرهون بتهيئة ظروفها.

٢- ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنًا ﴾[1] البيوت نعمة من نعم الله لعباده، فيها مقرّ إقامتهم وملاذ سكناهم، يستلزم المحافظة على سلامتها من المهددات ليكون سكنًا آمنًا ، والسكن يعني محل سكون ومستقر إقامة وخلود راحة.

٣- ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾[2] أي على الإنسان أن يتخذ إجراءات كفيلة بسلامته ومنع ما يجعله عرضة لمآسي الأحداث.

٤- ﴿ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ [3] وفي هذا حضّ على الحذر من محدثات لا قبلَ لهم بها ولا قدرةَ على مواجهتها أو منع وقوعها إنْ لم تكُنْ لها محاذرًا ولها مراقبًا وتتخذ أسباب منعها ومدافعتها إذا وقعت.

٥- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢ ﴾ [4] وذلك أن النظافة سلوك إسلامي، حث عليها الإسلام قبل الحضارة المعاصرة، وفي هذا تلميح يدخل في نطاق نظافة المنازل.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٨٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

٦- ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[1]

فالتوكل على الله من صميم الإيمان وكمال التوحيد، والأخذ بالأسباب لا ينافي معنى التوكل على الله. وكما يقول شيخ الإسلام ابن القيم في زاد المعاد: لابد من التوكل لمباشرة الأسباب، فالإنسان مأمور بالتوكل على الله، ثم الأخذ بالأسباب سواء جلب المنافع أو دفع المضار.

٧- ﴿ وَٱلله جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ ﴾[2]

وفي هذا إرشاد إلى ارتداء الملابس الواقية ، وهو ما يعني حماية سكان المنازل من لسعات الحر على مختلف مصادرها؛ وينسحب عليها ما يقي من شدة البرد باستخدام وسائل التدفئة المنزلية.

ثانيًا: من وحي السنة النبوية:

تزخر السنة المطهرة بأحاديث مروية عن المصطفى عليه الصلاة والسلام الذي يعلِّم الأمة ما يجنِّبهم المخاطر ، قوله:

١- "لا تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ " [3].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨١.

(٣) متفق عليه.

ففي هذا إشارة إلى فواجع النار، وهو حثٌّ على اتخاذ تدابير السلامة من عدو لا يرحم بالمراقبة والمتابعة والتحوط منها بوسائل حمائية لمنع وقوعها كإجراء احتياطي.

٢- "**إِنَّ هَذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ**"[١].

في هذا توجيه وتنبيه لابن آدم بوجوب التوقي منها والاحتراس من شرها.

٣- " **إِذَا رَأَيْتُمُ الْحَرِيقَ فَكَبِّرُوا فَإِنَّ التَّكْبِيرَ يُطْفِئُهُ**"[٢].

وهو إشارة تعلمنا كيفية مكافحة حوادث الحريق؛ كي لا يمتد لهيبه، وهو أحد أساليب المكافحة.

٤- "**غَطُّوا الْإِنَاءَ وَأَوْكُوا السِّقَاءَ وَأَغْلِقُوا الْبَابَ وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً وَلَا يَفْتَحُ بَابًا وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُودًا وَيَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ**"[٣]

تلك توجيهات نبوية تعلِّم الإنسان كيف يقي نفسه وأدواته وما يعتاش عليه؛ كي لا يطالها القذى.

٥- " **اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ** "[٤]. وهو توجيه للأخذ بالأسباب مع التوكل، وهو ما ينسحب على المنزل، فمنْ يفتح منزلًا لا بد أنْ يكون بيته تحت رعايته، والتوكل على الله بأخذ أسباب السلامة فيه.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الطبراني

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الترمذي.

ثالثًا: من أقوال الصحابة رضوان الله عليهم:

فمن وصايا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: أصلحوا عليكم مثاويكم – أي منازلكم. ومما ورد عن الإمام علي بن أبي طالب قوله: ثمرة التفريط الندامة، وثمرة الحزم السلامة.

فمن مدلولات الهدي القرآني، وأحاديث معلم الأمة وأقوال من نهلوا من مدرسة النبوة، خير برهان على عناية الإسلام بأمور السلامة، ودليل عناية بحياة الإنسان ومستلزماته المعيشية؛ تأمينًا من خطر ودرءًا للحوادث في مسكنه ومقر إقامته. ومن تلك التوجيهات الشرعية يمكن أن نستخلص الحكم الشرعي للسلامة:

حكم السلامة

من التأصيل الشرعي للسلامة وأهميتها يمكن القول بحكمها من أبعاد ثلاثة:

أولاً: البعد الشرعي:

بما أن السلامة مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية ضمانًا لحفظ الضرورات الخمس، وهي: (النفس، المال، الدين، العقل، العرض).

والشاهد هنا "المال والنفس" التي تأتي المنازل على رأس قائمتها كونها مالا تحوي داخلها أنفس ساكنين مكلفين بأسباب المحافظة عليها من الهلاك، وصيانتها من الضرر، وحمايتها من التلف، فيصبح تكليفًا شرعيًا؛ لأن الأسباب تأخذ حكم المقصد. وكما هي القاعده الفقهية. مالم يتم الواجب إلا به فهو واجب .

ثانيًا: البعد الفطري:

هي شعور غريزة مغروسة في ثنايا الكائن الحي الذي بطبعه ينفر مما يسوؤه لمجرد شعوره به، وهي ليست قاصرة على الإنسان بل حتى الحيوان إذا أحسَّ بخطر فإنه يفرّ منه فرارًا تلقائيًّا، يدخل جُحره أو يأوي إلى كهفه أو يلوذ بما يتحوط به، أو على الأقل ينأى عنه بعيدًا كي يسلم منه .

وهو نفس الشعور عند الإنسان يتحسس مكان الخطر ويستشعر الحوادث تحسبًا فيأخذ بأسباب الوقاية منها، بعمل تدابيرها يجير نفسه عواقبها بتأمين سكنه بدواعي سلامته.

ثالثا :البُعد الحضاري :

أما بُعدها الحضاري ، فكلما تقدَّم الزمن وتطورت آليات الحياة، تغيَّرت مظاهر المعيشة تبعًا لتحولاته، يتحول معها الإنسان وتتطور مداركه بتأثير المد الحضاري، حيث تفرض عليه التعامل مع التطورات ليواكب زخم الزمن، والإقبال على المستجدات بقدر من التحسُّب؛ ليكون في مأمن مما تُفرزه من مخاطر، فالحضارة اليوم بهائل تقنياتها تحمل في طياتها ما هو إيجابي وسلبي، فهي بقدر ما تعطي من يُسْر فلا تخلو من عُسْر، وبقدر ما فيها من إيجابية لا تخلو من سلبية، تمثِّل خطرًا على الإنسان بصورة مباشرة أو غير مباشرة تتطلب تعاملًا محسوبًا فهي ملاذ أمان بعد الله، من أخذ بأسبابها متوكلاً على ربه كفاه.

وإذا كانت موجبات السلامة ظلَّت وما زالت أُسًّا من أسس حياة الإنسان مفطورًا عليها، ينشدها في أماكن تواجده، فإن من أهم ما يمكن أنْ يتركز عليه اهتمامه سلامة منزله يستلهم مكامنَ الخطر

فيه قبل أن يداهمه حدث وهو في غفلة من أمره، أو متغافلًا عنه، أو مهملًا مؤشراته.

فدفع الخطر يحتاج إلى استحثاث اليقظة؛ لئلا يقع من حيث لا يتوقع، وهذا الاستحثاث هو ما نعبِّر عنه بما يسمى : بثقافة الخطر، وعلى قدر ما ننمي ثقافة الخطر يكون هاجسًا نضع عليه عيوننا نتوجسه خشية وقوعه.

بعكس حال لا سلامة، فالأمر مفلوت على كفّ الحدث، حتى إذا تواترت عناصره، وتهيأت أسبابه، اندلع لا يردعه رادع من تدبير أو يحبسه حابس وقاية، فيصيب البيت في موجع، وقد يتطاول تأثيره فيقع في مقتل.

وليس هذا فحسب! فقد تولد حالة نفسية يعاني منها من تعرض للحدث، يكابد آثارها، تلاحقه فجيعتها أينما حلَّ وارتحل، فلو تدبَّرنا ذلك الحدث وتوقعنا تلك الفاجعة وتصورنا الدمار لوضعناه في الحسبان، ولعملنا على تقليل فرص وقوعه، وطالما لم تكن تقديراتنا متمثلة حجم الخطرن فهو ما ندعوه بقصر ثقافة الخطر أو انعدامها. وبهذا المدلول يقوم مقوم السلامة على أنها غاية لا تُقاس بثمن تمثل شريان الحياة .

❊ ❁ ❊

السلامة شريان الحياة

على ضوء ما بدا لنا من أهمية للسلامة، حيث تمثِّل بابًا رحبًا تخرج من جنباته نطاقاتُ الحياة وسلام العيش واطمئنان مقام واستقرار مآل، فيها راحة للبال في الحلّ والترحال، لا تتنزل الأضرار ساحتها بإذن ربها، هي للبيوت حارس.

يدخل الإنسان بيته آمنًا، ويخرج منه مطمئنًا بعد أن استوفى شروطها، وهيأ وسائلها، يخلد إلى خلوته في راحة بال وأمان مقام. لا يقر قراره إذا بدا له ما يزعجه أو لاحتْ له مؤشرات خطر تثير حفيظته، ينشغل بها ذهنه، تخلخل أمانه؛ لتنقلب المعادلة، يستولي عليه رعبٌ أو ترهقه خيفة، ففي جوٍّ كهذا كيف يعيش الإنسان؟ وكيف يخلد إلى راحة؟

في ظل لا سلامة من أحداث، لا يُطاق عيشُ منْ استولى عليه خوف. وهل يقدر أنْ يستمتع بحياته منْ تساوره توجسات أخافته؟

إذن: أين يجد الإنسان أمانه؟ أليس في السلامة من خطر؟ فهي بهذا المنطق مورد اطمئنان ومصدر سلام عائلي وسكن منزلي، فمن لبس موجباتها وفعل أسبابها واستحضر مردودها فسوف يسعد بريع فألها، وإن جانبها وأغفل شيئًا منها طوّقته نحاسة الحوادث.

فالسلامة مجلبة للطمأنينة وهي: قيمة نفسية، ومورد روحي، ومكوِّن خلقي، وميل وجداني، جاءت من مترادفات لفظية، ودلائل معبرة، حاكها الإنسان في مقولات تعبيرية:

- فإن قلت: فطرة فهي طبع، ينزع الإنسان إليها بفطرته إذا أدركه الخطر فرارًا منه.
- وإن قلت: غريزة فهي غريزة في تكوينه، يدرك بها الخطر الداهم عليه.
- وإن قلت: جبلّة فهو مجبول عليها، ينشدها أينما حلَّ أو ارتحل، وأينما قرَّ واستقر، وكيفما فعل أو استفعل، وأينما نشط أو سكن.
- وإذا قلت: سجية فهي سجية في الخلق، ينزع اليها من حيث يدري أو لا يدري، يطلبها كلما أحسَّ أنه محاطٌ بما يخيفه، مبتعدًا عنه بسجيته.
- سلامتك قوام حياتك، ارعها ترعك بإذن الله.
- احفظها تحفظك بإذن الله.
- اتخذ الحيطة تجعل بيتك أكثر منعة وأنعم راحة.
- بيتك ملاذُ راحتك وأمان مأواك، قد ينقلب إلى مكان خطر وانتفاء الراحة فيه، فبدل أنْ يكون مصدر متعة قد يكون مصدرَ شقاء بتهاونك وغفلتك.
- البيت السالم أي العامر هو الآمن من غول الحوادث.
- احذر تسلم.

ترادفت الألفاظ، وتنوَّعت المقولات، لكن دلالتها واحدة ومعانيها موحدة، تفزع لها النفس، ويتفاعل معها الجسد، ينفعل بها وتنفعل به، يتلمس بُؤر الأذى ودوائر الضرر؛ اتقاء من المهلكات، وحفاظًا

على السلامات، وإنشادًا للأمانات، مترادفاتها واشتقاقاتها تُورث الراحة، نرددها متفائلين بها.

فنقول: أمان واستئمان، سلامة وسلام، طمأنينة واطمئنان، هدوء واستهدان، سكون واستكنان، قرار واستقرار.

تسود في آفاقها الحياة، وتزدهر بها الأحوال، وتسمو رحابات الرخاء ليزدهر بها المطلب، تخضر شجرة الحياة وتتسامق، تستوي على سوقها الطمأنينة، ويصفو في جوها الهناء، تحت مظلتها يرنو الإنسان عيشاً هنيئًا ورزقًا مريئًا، يمضي كل شيء في نسقه متناسقًا مع سياقاته، متناغمًا مع بيئته ، لا تتقاطع أغراضها أو تتعارض مقاصدها لتسير الحياة في ركاب سلامتها، ليستوي المقام على أرضية خالية من مفزعات تهز جوانب العيش موله الضيق والحرج .

❋ ❁ ❋

فلسفة السلامة

إذا كانت الفلسفة في مفهومها العمومي سَبْر غوْر المعاني والتدقيق في الدلائل من خلال استجلاء ملهمات حسية واستبانة مدركات شعورية؛ توصيفًا لآلية الحياة؛ للوصول إلى جوهرها المادي والمعنوي واستنباط الحكمة من مكنونها .

ففي سياق إطار المفهوم العمومي للفلسفة نؤصل فلسفة نوعية للسلامة؛ باعتبارها جوهر الحياة، فإنْ لم تكن السلامة كذلك فمن يمكن أن يطلق عليه هذا الوصف للحياة آفاق متعددة وصنائع متنوعة كل منها يفعل فعلاً في الآخر، ضمن نسق متضافر، فكما أن الإنسان يحتاج إلى الهواء فهو أيضًا محتاج إلى الماء، وكما هو بحاجة إلى مأوى فهو محتاج أيضًا إلى الراحة من عناء العمل وكدّ جلب المصلحة. لكن كل هذه الطلبات والاحتياجات لن تكون في مأمن إنْ لم تكُنْ في وضع سالم من العيوب وخالٍ من شوائب الخطر، وفي منأى عن المضار ليتمتع بها الإنسان ويقر قراره بها.

إزاء ذلك يمكن أنْ نسمي السلامة جوهر الحياة، فكلّ مطلوب ضرورة، وآخر الضرورات السلامة، والجوهر بحد ذاته لا يقوى على الصمود إذا ما شابه تلف أو اعترته مضرة، إذا لم يحسب لسلامته حسابًا، ولم توضع في عين الاعتبار حمايته.

إذن: نتوصل إلى أن لبَّ المطالب هو الجوهر الذي تقوم عليه، وهو السلامة من خلل يعرض منافع الإنسان لتلف.وفي هذا فإن

فلسفتها تكمن في البحث الدؤوب؛ لبلوغ مراميها وإدراكها؛ كونها قيمةً لا تُقدر بثمن لتستمر العطاءات وتتدفق المنتجات فينال الإنسان استحقاق الحياة في رحابها ، أمانًا من أهوال الأحداث وممارسة المعايش بسلام، بلا خوف يغشاه أو ريبة تتولاه ، وكأنما هي بذلك تمثل بوليصة تأمين ضد المنغِّصات ومضايق العيش بعد الله ومشيئته.

ولبلوغ هذا المرام كان لزامًا القيام بعملية تحليل محيط الإنسان؛ لتشخيص واقع الحال وتتبع إشارات تنبىء عما قد يفضي بمضرة أو يسبب مهلكة وتفسير ما وراءها ، وقراءة مردودها لردم فجوات الخلل، وتحصينها بما يضاهيها المقصد النهائي، لها أمان بقاء وسلام عيش.

وبذلك تعد السلامة قضية من القضايا الرئيسة في حياة البشر، إذ تشكل دائرة فسيحة تدور في محيطها مدارات حفظ الكيان الإنساني كمنهج حياتي يستوعب قيم البقاء.

وغنيٌّ عن القول أنه عبر رحلة الإنسان التاريخية منذ الخليقة الأولى ما فتىء يصارع قوى الطبيعة، فعمل على أن يكون في مأمن من المخاطر وتهديدات الحوادث، وبذلك ظلّ صراعه مرتبطًا بغريزة حب الحياة، فمن يطلب السلامة طلب الحياة، ومنْ أهمل أحوالها لايكون في مأمن ، فهي وِجَاء بعد الله من غيلة الحوادث ، فكلما استقصينا حبائل السلامة جُنِّبْنَا حبائل المضار.

وهنا تكمن فلسفة السلامة في مُكوِّنين:

١- **مكوِّن شرعي:** ينبثق من مبدأ الحفاظ على النفس والمال، وهما عنصران من عناصر المقاصد الشرعية، حضَّتْ عليهما بقوة.

٢- **مكوِّن بقائي:** ينبثق من ارتباطها بغريزة حب البقاء والتناغم المنطقي مع حب الحياة؛ باعتبارها ضرورة ومُقوِّمًا من مقوماتها، وأساسًا من أسس العيش، فمن فقدها فقد معنى الحياة، ومن فلسفتها نتوصل إلى علتها، ومن علتها نستنبط الحكمة في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنًا ﴾ [سورة النحل آية : ٨٠] مرادها المحافظة على المنـــزل من الحوادث التي تعصف بسكونه.

❁ ۞ ❁

المسئولية الشرعية لسلامة المنازل

مقر السكن ملكية خاصة يدخل في مدلول المال الذي هو أحد الضرورات الخمس المرعيّة في المقاصد الشرعية بالإضافة إلى حب الإنسان الشديد له. يقول تعالى: ﴿ وَتُحبُّون الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [سورة الفجر: ٢٠]

وفي الحالين هو محلّ رعاية توجب تعهده وإحاطته بعناية لحفظه من مفاسد قد تتلفه أو مضار تفسده يترتب عليها مضره تمنع الانتفاع به أو تعطل صلاحه ، ولذلك كان لا بد أن تراعي بعض النقاط الوقائية :

أ- اختيار الموقع المناسب لبناء المنزل حسب الأصول المتعارف عليها هندسيًّا بحيث لا تكون أرضية رخوة أو واقعة في مجاري الأودية أو انهيارات أرضية أو متصدعة إلى غير ذلك مما يعرفه أهل الهندسة. الأمر الذي يستدعي سؤال أهل الخبرة عملاً بقوله تعالى: ﴿ فَاسْألوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ ليكون الإنسان على بصيرة من أمره في المكان الذي سيقيم فيه نُزله.

ب-مراعاة تدابير وقايتها مما يهددها، ومنْ لم يُلم بتدابيرها فيمكن أن يستثشف ذلك ممن حوله وبسؤال أهل الدراية.

ت-الحرص قدر الإمكان علي اختيار الأدوات والأجهزة الآمنة وعدم الركون إلى الأدوات المقلدة.

ث–الإلمام بطرق تشغيل الأدوات والأجهزة المنزلية والاطلاع على تعليمات استعمالها (كاتلوج).

ج– عدم إغفال الصيانة الدورية.

ح– لا تترك الملاحظات الدالة على وجود خلل تتراكم لتتحول إلى حوادث مدمرة للبيت ومحتوياته.

فإنْ لم يكن ذلك محلَّ رعاية فهو أمر يوشك أن يُوقع البيت في مهلكة، وفي هذا مضيعةٌ للمال يصدق عليه حديث المصطفى "إن الله كره لكم قيل وقال وكثرةَ السؤال وضياعَ المال".وشاهدنا نهاية الحديث.

فعدم تعهد المنزل يعرضه للضياع وهو ما يقع على عاتق رب الأسرة أمانة في عنقه ومسئولية واجبه يصونه صونًا باعتباره مالاً. فمن لاحظ خللاً أو لاح به خاطر متشائم وسكت عنه إهمالاً وتلاهيًا انشغالاً وتشاغلاً لا يراه يستحق التدخل ، فقد يقع حادث يدمر ما بنى ويبدد ما عمر وما اقتنى. شرد عياله وأضاع ماله وقوض مأوى قيلولته ومبآته ومرتع راحته.

سيعض أصابع الندم لتجاهله ما كان ينبغي وضعه في بؤرة اهتمامه وفي هذا تفريط بالأمانة وعدم قدرة على تحمّل مسؤليته وتقصير الوفاء بها سيتحمل رب الأسرة وربة المنزل معًا تبعاتها ، بل هم منْ سيتجرعون مرارة عواقبها خاصة إذا أودى بأرواحهم أو أرواح منْ هم مسئولون عن رعايتهم من الأبناء والأهل وما قد يفرز من تلف وضياع، فمسئولية عهدة البيت كبيرة، فمنْ يستشعرها تجاه بيته يضعها في قائمة اهتماماته.

فهي أمانة مُحاسب عليها بالتقصير أو التفريط أو الإهمال .. الخ. يتحمل نتائجها، وفي هذا يقول تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ﴾ **[سورة الأحزاب الآية: ٧٢]**

مكلف الإنسان بالوفاء بها لا يجوز التفريط بها ومن علامات التفريط بالمسئولية. التسويف والتباطؤ وعدم المبادرة للتعامل مع المؤشرات التي تدل على وجود خطر. وعلينا أن نعلم أن منْ يتحمل مسئولية داره وصيانته من شبح المخاطر وهو منْ تحمَّل مسئوليته بأمانة وأتقن حملها .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله سائل ُكلَّ راعٍ عن ما استرعاه حفظ أم ضيَّع)) [النسائي]. وفي الحديث المشهور ((كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته)) [البخاري ومسلم]. وفي هذا مسئولية مشتركة بين كل سكان المنزل وإنْ كانت في حق الرجل أكثر تركيزًا .

حكم و مواعظ تحث على السلامة :

- منْ لم يفكر في العواقب لم يؤمن المصائب.
- لا خير في أمان لا تُرعى قواعده.
- لا خير في سلامة لم يُؤتَ قوامها.
- لكل عمل حين فإن لم يكن في حينه فلا حسنة لعاقبته.
- الجزاء من جنس العمل.
- لكل مقام مقال.

ثقافة الخطر

الحياة مزيج من خير عميم وشيء من شرٍّ طارئ ، فمنْ علم كيف يحافظ على عميم الخير فقد نأى بنفسه عن التعرض لشر طارئ الخطر وما ينطوي عليه من وأهوال ، فالخير الذي نقصده غنيمة السلامة التي يهنأ بها عيشه ويهدأ سكنه .

والمقصود بالشر: غرم الحوادث التي تعصف بالحال الهني والسكن الهادئ تضاءلتْ فيها معاني السلامة تضطرب فيه السكينة، وبين الحالين يكمن فاصل رفيع لا يدركه إلا النابهون الحاذقون الحاذرون من الأحداث ومصائبها. عكسهم أولئك الذين لا يفطنون إلى مؤشرات الخطر ولا يتنبهون لمقدمات الحوادث .

فمنْ أفاء اللهُ عليه بنعمة البيت والعيال وسبل الرزق فعليه أنْ يرعى نعمة الأمان وسلامة الأحوال، ويتخذ من الأسباب ما يحفظها. فمنْ تحوم حوله نُذُر خطر، ولا يعيها حقَّ وعيها أو لا يبادر إلى تجنّبها مع علمه بشرّها فهو كمنْ يقف على شفا هاوية معتقدًا أنه لن يسقط فيها بنقص وعي أو انعدام إدراك بماهية الخطر ولامبالاة بما سيجني غير آبه بما سيؤول إليه ، وفي هذا مجازفة بالروح والمال والولد. فالأمر على ضربين : إما سلامة تسلمنا أو خطر يصيبنا ، فأيّ الضربين أوْلَى؟ بأنْ نضرب له ضروب العناية.

قص ثقافة الخطر ارتماء في أحضان الحوادث، فمنْ توسّد أسس السلامة عرف كيف يوطنها ويبعد نقيضها، فلا يعرف معنى الخطر إلا من نشط مَلَكة الفطنة.

فلا يلزم أن نخلد إلى الدعة حتى يفاجئنا حادث وتلفحنا ناره ؛ قد يقول قائل:إن مشاغل الحياة واللهث وراء مكاسبها والكد الدؤوب لأجلها، قدر الإنسان، قد تلهيه و تحمله على مبدأ التوكل. نقول: التوكل حق ومن صميم الإيمان لكن يجب أنْ نفرق بين التوكل والتواكل، فهذا شيء وذاك شيء آخر.

فالتوكل يعني أنْ نضع الأمور في نصابها، ونتخذ لها من الأسباب ما يفعلها ويؤيد وثاق حصولها. أما التواكل فهو ألاّ نتخذ من الأسباب كفايتها ومن الوسائل قدرها، ونترك الأمور على حالها دون تدخل بأسبابها المشروعة حتى تقع الواقعة ونتعرض لفاجعة، فهو أمر مُنافٍ لمعاني التوكل، وقد علّمنا نبينا ﷺ الذي قال: "**اعقلها وتوكل**".

فمَنْ أراد أن يعيش في سلام من المخاطر فلا بد أنْ يُعدّ لها عُدتها .

ثقافة الخطر تبدأ من الشعور به وحساب نتائجه، ولنعلم أنه ليس من إنسان في منأىً عن الخطر، مما يؤكد لزوم تحسُّس أسبابه والوقاية منه ومدافعته، وأنْ ننمي حِسّنا الوقائي الذي هو بمثابة المستكشف الأساسي لاحتمالات الحوادث .. فإذا عرفنا سبب الخطر عرفنا كيف نتلافاه.

معلوم أنه ليس كل الناس سواء في التقاط مؤشرات الحوادث؛ إذ تختلف قدراتهم الإدراكية بحسب العمر والتجربة والبصيرة، فمن المؤشرات ما ظهر ومنها ما بطن.

فما هو ظاهر أو محسوس فالناس من الفرار منه سواء، فمنْ يشاهد نارًا أو تلسعه حرارتها يفر منها بفطرته البشرية، حتى الطفل إذا قرَّبت منه كأس شاي ساخن قد يلمسه لكن بمجرد ملامسته يشعر بحرارته، يبعد يده وكذا المجنون عندما يرى النار يفر منها.

وأما ما بطن منها فهو شاهدنا، فالطفل معذور والمجنون لا يؤاخذ إذا تجاهلوا ما يُومئ إلى خطر. لكن ماذا عن الكبار المدركين كيف لهم أن يقعوا مواقع الأخطار ولم يلفت انتباههم وأمامهم مؤشراتها ويتغافلون عن احتمالات وقوعها؟ أليس هذا إهمالاً أو تغاضيًا أو توقعًا مؤجَّلاً؟! فإذا وقع حادث أدرك مغبة تأجيل تجاهله، فهل كان يحسب أن الحادث يستجيب لتأجيله حتى ينتهي من مشاغله ؟ مثل هذا ماذا يكون عذره من نفسه أو منْ يؤول إليه أمره؟!

بعضٌ من الناس لا يعير اهتمامًا كبيرًا لإمكان وقوع حريق في منزله خاصة إذا كان المنزلُ حديث الإنشاء مغترًا بحداثته، فمنْ مرَّ بتجربة سابقة حدثت له أو شاهد حدوثها وتأثر بها، فقد يحفزه ذلك إلى أنْ يضع في تقديره إمكانية وقوع حريق في بيته؛ ليعطيه شيئًا من اهتمامه معتبرًا أن جوهر القضية ينحصر في اللهب وما سواه أقل خطرًا، مما يجعله يركز على أدوات الحريق غير مدرك

ما بعده، الذي قد يكون أكثر حرجًا من الحريق ذاته، فالدخان المتصاعد بما يحمله من أكسدة وغازات سامة بفعل الديكورات والموجودات المنزلية يمكن أنْ يتراكم في زوايا المنزل ولا يجد له منفذًا للخروج، فيكون في وضع يعادل ألسنة اللهب من التأثير، فإذا كان اللهب محرقًا فالآخر مخنقًا، وإذا كان هناك إمكانية للتخلص من اللهب أو الهروب منه، فإلى أين يكون الهروب؟ أليس إلى أروقة المنــزل؟

عندها يكون الدخان قد انتشر وغمت غماماته تلك الأروقة، فمن الصعوبة التخلص منه، وبذلك يكون الدخانُ أشد خطرًا من اللهب في بعض الحالات، وهو ما يستوجب أنْ نضع هذه الحقيقة في الاعتبار بوضع فتحات تهوية كافية وجعلها سهلة الفتح، لتخفيف تركيز تراكم الأدخنة وعدم إعاقة الوصول إليها بحواجز ودواليب ومتروكات تعطل فتحها في الوقت المناسب.

ويزداد الأمر صعوبة أن بعض المواد تطلق غازات سامة يتضاعف معها الموقف ويزداد الحرج بحيث تتضاءل فرص النجاة من اختناق الأدخنة والغازات السامة، والأدهى من ذلك إذا لم يكن المنزل مُزوَّدًا بمراوح شفط الدخان وطرد الغازات، مما يقلص فرص النجاة، فإذا بالإمكان مقاومة اللهب فقد لا يستطيع مقاومة الدخان، الذي يشل الحركة ويكتم النفَس فيخرّ الإنسانُ صريعًا.

ولذا يتوجب التذكير أن الحريق بأبعاده الثلاثة: لهب، وحرارة، ودخان. فكلٌّ بُعْد من أبعادها لا يقل أهمية عن الآخر، فقد يكون هناك حريقٌ غير مرئي يتصاعد دخانه لا يدركه أصحاب المنزل

إلا بعد مرور وقت، وهم في طورهم نائمون أو لاهون أو بعيدون عن مكان وقوعه، يدركونه بعد مرور وقت بالشمّ أو بحساسية العين يبدلون مشقة بالغة لمقاومته مما يعني أن الحرائق خطورتها متنوعة لايقلّ بعضها عن البعض الآخر. ولذلك نشدد القول ونكرر التنويه أنْ لا نخلد الى الدعة متهاونين بمؤشرات ، فمؤشرات الخطر مقدمة لما هو أخطر إنْ لم يتم التدخل لمعالجتها تتحول إلى حادث .

❋ ❁ ❋

ما هو الحادث ؟

في معرض حديثنا عن الخطر يتردد لفظ حادث أو حادثة بموجب أن الخطر بمثابة إخطار بحادث يوشك أن يقع أو مقدمة له. فما الحادث الذي يحذر منه؟

هو فعل عنف سلبي النتائج، يخلف ضررًا ماديًّا أو معنويًّا يتوقف التعامل معه على قدرة احتوائه وسرعة الاستجابة له، فإما إيجابية تقضي عليه في مهده أو تضعف حدّته بمواجهة متبصرة متحاشية الارتباك قدر الإمكان وضبط الأعصاب فتكون فاعلة المواجهة قادرة على السيطرة من بدايات الوقوع .

وإما أنْ تكون سلبية غير رشيدة عشوائية تزيده عنفوانًا تطيش فيه التصرفات وتتخبط المواجهة غير قادرة على مسك زمام السيطرة يشق على المتورطين فيه مغالبته فتتوسع دائرته إلى أسوء بسبب سوء إدارة الحدث التي تأتي نتيجة قصور ثقافة الخطر التي لا تنيرها إلا ثقافة مضادة لها ، وهي :

ثقافة السلامة :

بداية نود أن نقرر فهمًا عامًّا يقف بنا على أرضية استدامة السلامة وعرضية الخطر لمعرفة أيهما يستوجب استدامته ومنْ يتوقى من عرضيته وهذا يعني أننا نستديم أحدهما ونكبت عرضية الثاني؟ في معرض استطراد تفصيل كلمة سلامة وشرح مفهومها وفلسفتها وتأصيلها الشرعي انتهينا إلى أن السلامة شريان الحياة

وهو ما يشير إلى أنها حالة مستمرة الديمومة تتوقف ديمومتها على حيادة دواعي الخطر ومعاجلته في محضن تكوينه، فكلما كبت الخطر تحققت السلامة واستدام ثباتها وهو ما يوصلنا إلى استنتاج أن السلامة مرهونةٌ بزوال الخطر فإنْ أزلنا دواعي الخطر استبقينا موجب السلامة .

وإذا كنا قد سلطنا الضوء على ثنائية التضاد القائمة على مبدأ الموازنة بين كل ضدين في الحياة إلا في ضدي السلامة والخطر فلا موازنة فيها فحالهما يختلف إذ يجب أن يكون الخطر تحت السيطرة بأضعاف أسبابه ويغلب جانب السلامة وتقوى عواملها باعتبار أن إزالة الخطر دليل الوصول إلى عتبة السلامة من منطلق أن حياة البشر قائمة على قاعدة (أزل الخطر تنجُ بسلام).

فالخطر مقوِّض للحياة وهادمها وهو بذلك لا يستوي أن يكون مقوم الحياة لأنه لا يشكل أساسًا لها. فأين أساس الحياة؟ لو تفحصنا مُسلّمات البقاء وأسس المعايش ومتطلبات الإنسان وضرورات حياته نجد أنها قائمة على السلمية فإن فقدتها بارت الحياة وفسدت المعايش.

ومن هنا نخرج بتقرير: إن السلامة أساس بناء الحياة في عدمها تنعدم وفي وجودها تقوم ، وأما الخطر فهو طارىء (عرضي) وبما أنه طارئ فهو ليس أُسًّا بل هو خلل طرأ على مقوِّم أساسي من مقومات الحياة تجب معاجلته قبل أنْ يتضاعف و يكبح جماحه وفق منظومات وتدابير الوقاية .

وعلى هذا الأساس كان لزاما أنْ يعي كلٌّ إنسان أنه ملزوم باعتماد السلامة قاعدةً لمجريات حياته يضعها في جد اهتماماته يمنحها عنايته. وهنا تتجلى ثقافة السلامة مقابل ثقافة الخطر، أي الوعي بماهية الخطر وما يترتب عليه من إصابات مميتة أو مهلكة أو مثقلة أو مخربة بنتائجها المدمرة، فإذا عرفنا الخطر عرفنا ما يدرؤه ، وإذا عرفنا مهالكه عرفنا كيف نتقيه ، ومنْ لم يَعِ مقدار الخطر فلا يقيم للسلامة وزناً أو يوجد تدابيرها ، فهو كمنْ يشرع ببطء في الانتحار أو كمنْ يلقي بنفسه في التهلكة وهو يرى ويسمع.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[1]

ويقول تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴿٢٥﴾ ﴾[2].

أي هي دعوة لتلافي كل مكروه أو مصاب أليم والعمل على اتقائه، كلما تدنتْ ثقافة الخطر تدنَّت ثقافة السلامة، فلكي ننشد ماهية السلامة يجب أنْ نعي ماهية الخطر ، فإن انعدمت معرفة الخطر نمت فرص احتمال وقوعه واضمحلت فرص السلامة منه، وما من إنسان إلا يدرك بفطرته دوائر الخطر إلا أن درجة الإحساس به تتفاوت من شخص لآخر.

ثقافة السلامة تعني أن تُكرِّس معانيها في كل تناولات الإنسان ونشاطاته آمناً على نفسه وماله ومتعلقاته من غوائل الحوادث

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٥.

ومترتباتها ، من أجل أنْ نرسخها سلوكًا نعتاده ومنهج حياة نطبقه ونُعيرها كبير الاهتمام كأنما هي حارسٌ ضد الحوادث وآلامها.

وعلى ضوء هذا المفهوم نستطيع أن نغرس التربية الأمانية، ونتعلم كيفية نحمي أنفسنا وأهلينا وأموالنا ومكتسباتنا من مدلهمات الأخطار ومجاهل المهلكات وفجائية المحدثات. فإنْ تعلّمنا هذا النهج فسوف نفتح أعيننا على مواطن الخطر ونتجاوب مع ما يثير الانتباه لنستبق خطوبها لننعم بجو الاستقرار ومناخات الأمان في مقراتنا وأعمالنا ومتصرف شئوننا وترسيخ هذا النهج في وجدان الأبناء؛ ليعوه وعيًا تعبأ به نفوسهم.

بهذا المعنى يمضي الإنسان مطمئنًا يبحث عن قوته يسد حاجته آمنًا على بقائه فاعلًا ومتفاعلاً مع عناصر بيئته دون خوف يغوله بعد أنْ أعد لسلامته عُدتها، وهيّأ لأمانه متكأها، وأتكل على ربه بها.

وإذا ما حققنا شيئًا من ذلك الترسيخ وأصبح متأصلًا في النفوس، أسلمنا أمرنا إلى الله بعد أنْ أدّينا متطلباتها ، نطلب منه تعالى أنْ يبارك لنا فيما هيّأ من أسباب السلامة وسبل الوقاية وتدابير الحماية من كل هول ومصيبة ومن كل حدث وريبة في مقتل أو موجع أو مضرة، وفي هذا يكون الإنسان آمنًا على بيته إذا أوجب له ما يُؤمّنه بعد الله، لا ترهقه ضيقة أو تهدده خشية، مُسلّمًا الأمر كله إلى ربه بعد الأخذ بالأسباب والتوكل عليه.

يسألني أحد طلبتي يقول: عشنا ونعيش في بيوتنا ولم يحدث لنا أي حادث، ويردف قوله بقسم أنه لا يوجد في بيتهم أي وسيلة

سلامة بل ولا يوجد مجرد هاجس من قبيل هذا، ولم يطرأ على بالهم إمكانية حدوث أحداث مما تقول ونسمع عنه وأردف قائلاً: فجأة في يوم جمعة بعد أنْ أدينا الصلاة، وفي طريق عودتنا سيرًا على الأقدام، وإذا بنا نسمع صياحًا وعويلًا ودخانًا يتصاعد من بين أسطح المنازل، فزعنا نسرع الخطى فإذا بنا نتفاجأ أن الدخان يتصاعد من بيتنا، فأخذ كلٌّ منا يستنفر نفسه. يقول: تصوَّر! كنت أحاول إدخال المفتاح في باب الشارع ويدي ترتعش، فلا أكاد أُحسن إدخاله من شدة الرعب الذي انتابني على والدتي وإخواني الصغار، فلبثتُ بعضًا من الوقت أحاول استجماع قواي وأسيطر على فرائسي لكن دون جدوى.

وبعد محاولات استطعتُ فتح الباب فوجدت والدتي وقد ألهمها الله الخروج إلى الحوش مع صغارها، فكان ذلك المنظر قد خفّف عليّ شيئًا قليلًا من الروع، في حين كانت النار بالمطبخ تتأرجح، ومن لطف الله أن أسطوانة الغاز كانت خارجه، كنا قد خرقنا الجدار وأدخلنا خرطوم (لي) الأسطوانة الموصّل بالغاز، وكان هذا أيضًا مرد تخفيف آخر إذ استطاع أحد إخواني فصل اللي لإيقاف تدفق الغاز؛ وإخفاض شدة الحريق.

ثم هرعت بدوري إلى قفل قاطع الكهرباء لفصل التيار، وحاولنا مكافحة الحريق و كان في الأمر صعوبة نظرًا للارتباك الشديد إذ تصاعدت الأدخنة وانبعثت الأبخرة ، فغمّ علينا الدخان حيث سقط أحد إخوتي من أثر الدخان أسرعنا إلى إخراجه وتولى أحد الجيران نقله إلى المستشفى.

أما النار فبدأت تتلاشى شيئًا فشيئًا، إلا أن البيت امتلأ دخانًا وأصاب النفوس هلعًا ورعبًا، وتعالتْ صيحات طلب النجدة وبعد محاولات قضينا على الحريق حيث حان ترديد مقولات اللوم، كلٌّ يلقي على الآخر حتى حسمت والدتي المسألة وقالت : أنا أتحمل المسئولية، فالأمر بدأ بسيطًا، حيث ارتفع لهب المقلاة وبدل أنْ أغلق عين الفرن فتحت الثانية من حيث لا أدري مما أدى إلى اشتعاله، ومع احتدام النار رأيتُ أن أغادر المطبخ إلى الحوش مع صغاري؛ تحاشيًا أنْ يطولني الحريق وأقع في ورطته.

شاهدنا هنا: أن الحوادث تبدأ صغيرة ، تحتاج إلى إلمام ولو كان بسيطًا بطريقة التصرف السريع، وهو ما نريد أن نتوصل إليه، أن نوفر معرفة ولو قليلة مع التحكم وضبط الأعصاب قدر الإمكان والإلمام بكيفية التعامل مع الحوادث نُربي عليه نفوسنا وأولادنا وأهلينا لنُحسن التصرف في الأوقات الحرجة .

❋۞❋

الشعور الذاتي السلامة

الأصل في السلامة أنها مطلبٌ فرديٌّ خاصة في المنـــزل، فكلّ فرد فيه يستشعر أمنه الخاص، كلٌّ على حِدَة، بحيث يطمئن أحدهم على أمانه لتستقر نفسه، وأنه ومتعلقاته غير مُعرّضين لخطر، وأن حياته في أمان؛ ليشعر أنه يعيش في بيئة مأمونة الجانب، آمناً على نفسه وأسرته وذويه، سالماً من مزعجات وويلات الأحداث، عندها تستوطنه ثقة بمسكنه في منـــزل مأمون وبيت معمور بسلامة تقيه المنغّصات وعوارض الأحداث.

فمنْ أمنَ ذلك طابت نفسه وانغلقت منافذ القلق والترقب عنده، فالسلامة مبدؤها سلام النفس والشعور بالأمان، لا يخشى خاشية خطر، ولا تغشاه مغشيات المضرات؛ لتتشكل داخلها أبعاد السكن المنزلي.

إن كل بُعْد من هذه الأبعاد يمثل وحدة خاصة ومطلبًا ذاتيًّا تتضافر في مجموعها لتلبي غاية السكن الأُسَري ونعمة المأوى البيتي من حيث :

- شعور الاستقرار النفسي بالسكن الزوجي وتكوين الأسرة.
- توفير المودة والرحمة بين الزوجين.
- العطف والحناني الأُسَري.
- شعور الفرد بالانتماء إلى أسرته والالتصاق بهم وحبهم.

- الإحساس بالأمان وسطهم في بيت تتوفر فيه مُسلّمات السلامة، يؤمه مستقرًا ويخرج مطمئنًا، وبذلك يتبلور شعور جماعي بأهمية السلامة ورعايتها، وترسيخها مع بدايات التنشئة الأولية؛ ليكتسبه الأبناء عن الآباء سلوكًا تربويًّا منــزليًّا ، يترسخ في نفوسهم مبدأ الأخذ بها، فذلك مكوّن أولي تتأسس جذوره مع مراحل النمو العمري، ومعروفٌ المثل المتداول : العلم في الصغر كالنقش على الحجر.

❋ ۞ ❋

تربية السلوك الوقائي

التربية في الأساس هي لبناء شخصية ذات فعل فاعل مقبول ومتجانس مع مجتمعه وغرس مبادئ وسلوكيات يستقيها الفرد مع تطور مراحل عمره تستيقنها ذاته ليمارس قيمها وأخلاقياتها تتضح بها تصرفاته قولاً وتلازمه عملاً .وفي هذا السياق تأتي السلامة سلوكًا ضمن محتوى السلوكيات التي ينبغي أنْ يتربى عليها الفرد منذ نعومة أظفاره مثل أي سلوك ومهارات يتعلمها بداية في البيت في وقت مبكر لتترسخ فيه عادة سلوكية يتعودها ليقي نفسه ومن حوله مخاطر الحوادث ويتقي مواطن الخطر .

الإنسان بطبعه يخاف من المجهول، فهو يفزع لمجرد الإحساس بوجود خطر ، مما يُولد حالة غير عادية في نفسه حيث تهتز حالة الطمأنينة لتستفزه تحسُّبًا لما قد يقع فيه تجعله مترقبًا لا يدري أين ومتى سيحيط به حدث مفاجىء لا يأمن فيه على نفسه ولم يتوقع أنْ يُلمّ به طارئٌ يغيب راحته ويزعزع سكينته وسكناه ، والسبب أن السلامة غير واردة في قاموسه ولم يتربَّ عليها كسلوك فكانت في سلة المهملات حتى دقَّ جرسها وطرق طارقها يتذكر المرء قيمة السلامة .

وإذا ما تبنينا السلامة كمفهوم تربوي يبدأ من البيت ينتهجها سلوكًا يعتاد عليه الأبناء من وقت مبكر سلوك عادة؛ ليسلكوا سلوك السلامة من الخطر والوقاية من الحوادث ؛ لنؤسس فيهم مفهوم السلامة والحفاظ على مقومات الحياة، فتربية السلوك الوقائي تأصيل السلامة وتأهيل النشء على المحافظة على أرواحهم ومن

حولهم ليتعودوا منذ الصِّغَر استشعار الخطر؛ لكي يتحول مع الوقت سلوك عادة وتوليد حسٍّ وقائي مما يهدد حياتهم أو يُوقعهم في مأزق الحوادث.

فلا يختلف اثنان على أن السلامة المنزلية تستأثر بقدر كبير من الاهتمام، وتستحوذ على مساحة واسعة من الهواجس بما تُشكِّله من قيمة يستودعون فيها نفوسهم وخصوصيات أحوالهم، وراحة البال، وهدوء السكينة، والأمان النفسي في منزل آمن من ضيق وسالم من زعزعة، وهو بهذا يأتي في صلب المقاصد الشرعية مضبوطةً بجملة من الضوابط التي تحفظ ضرورات الحياة ومقاصدها المرسلة التي تحفظ الكيان الإنساني على مختلف أوجه الحياة وتداولاتها، وفي مضمونها الحماية مما يعرض للنفس والمال والعيال ومكتسبات الحياة وأقوات المعيشة بما تضفي أمانًا وسلامًا، من كل ما يقوض الإنسان أو ينغص راحته ويهدد أمانه أو يحد من نشاطه ويعوق حركته ، فلا يستوي السكن في منزل لا يأمن فيه على نفسه أو أحواله.

وفي هذا كان لا بد أنْ يعوِّد المرء نفسه على رعاية سلامة نطاقات تواجده الذي يأتي المنزل من ضمن أهم النطاقات الأحق بالرعاية، وأنْ يربي عليها أهله وأبناءه وذويه، يجعل السلامة في سلم اهتماماتهم ويجعلها مبدأ من مبادىء سلوكياتهم.

إن تربية النشء على هذا النهج تفتح أمامهم مجالًا للعيش الآمن وتصبح سلوك عادة يعتادون عليها منذ الصِّغر تكبر معهم مع تدرج العمر، إذ إن الملاحظ أن جيلنا وجيل منْ سبقونا ، لم نتعوّد على الأخذ بمبدأ السلامة بما يكفي، لذلك بقيت في وضع ثانوي؛ لأننا لم تُربَّ فينا تربية سلوكية نشأنا لا نعطيها اعتبارًا ؛ فلم نُربَّ

عليها حتى وإنْ ولجنا حضارة العصر بزخمها التقني الذي نأخذه دون حذر، ونقتنيه بلا تحسُّب.

فالكهرباء ذات منافع جمة ننعم بها ، لكن لا يخطر على بالنا أن نتوقى من مخاطرها بما فيه الكفاية ، والغاز هذه الوسيلة الشرسة لم ندرك شراستها لنحيطها بما يقينا منها ، ولك أنْ تعدد الكثير والكثير مما يدخل حياتنا، نأخذه على ظاهره ونغفل عن مساوئه وأخطاره الأليمة ، وما ذلك إلا لأننا لم نُربِّ تربية أمانية في وقت مبكر؛ لتكون هدفًا وملحوظ احتراز.

ولنا أنْ نتفكَّر في سؤال ألقيته على طلبتي في إحدى حلقات الدروس عن السلامة، فكان السؤال بسيطًا جدًّا لكنه غائب عن الأذهان.

قلت: عندما يقتني أحدنا جهازًا جديدًا (فرنًا أو تلفزيونًا أو سخانًا)..إلخ. هل نفكر في قراءة المنشور المصاحب له ؛ لمعرفة محاذيره وطرق استعماله وتعليمات تشغيله، وما مدى خطورته؟ وما سلبياته وإيجابياته؟ واتباع الإرشادات المكتوبة؟!

كان السؤال فجائيًّا فلا أحدَ يعير هذا أدنى اهتمام مع أن الأمر بسيط. أحدهم تجاوب مُعقبًا قال: إن التعليمات في تلك غالبًا ما تكون بلغة أجنبية، وليس كل شخص يجيدها. فماذا يعمل؟ قلت: ملاحظة جيدة ، لكن الغالب الآن أنها مترجمةٌ باللغة العربية وإنْ لم يكُنْ كلها فبعضها.

فكررت السؤال: هل نقرؤها؟ جاءت الإجابات خجولة ، فالقليل الذي يكلف نفسه مجرد قراءتها، وبعضهم يهملها. فإلى ماذا نعزو ذلك؟ أليس إلى انخفاض جرعة مطلب الأمان؟ حتى وإنْ كنا ننزع إليه بالفطرة لكننا لم نفعل أو ننبه غريزتها تنبيهًا تربويًّا وتعليميًّا.

فكم من أب أرشد أبناءه إلى اتباع إرشادات السلامة! وكم من أب نبَّه أهل بيته إلى مخاطر الغاز! وكم من ربَّة بيت تعرف كيف تتصرف تصرفًا أوليًّا في حال انتشرتْ رائحة غاز في مطبخها! وكم من شخص ذكَّر أهله ماذا يفعلون إذا شموا رائحة احتراق أسلاك كهربائية! وكم! وكم! ولك أنْ تذهب ما شئتَ في شأن المخاطر المنزلية الجمة، وإلا فالمخاطر بالكوم والحوادث بالكم.

إذن: فالتربية الأمانية إنْ لم تكُنْ معدومة، فهي شبه معدومة، تُطوقنا المخاطر من جوانب شتى ، وحياتنا على أكف الخطر إلا ما شاء الله، فقد يجد المرءُ نفسه في قلب الحدث بغتة وفي عين الواقعة مع أن مؤشراته كانت تلوح أمام أعيننا، الخطر يمسي ويصبح محيطنا ونحن عنه في غياب .

وهنا نود أن نخلص: إلى أنه إنْ لم نتربَّ منذ الصغر على التحوط من الخطر فلا يجب أنْ نتوارث إهماله بل علينا تربية أبنائنا وزرعه في ذواتهم؛ فالمخاطر من حولنا عديدة ، وما ستأتي به الأيام أكثر خطرًا ، ومتطلب الوقاية لا يأتي إلا بالتحذير والاستحثاث وجعلها هدفًا حياتيًّا لا تقوم الحياة بدونها، وإنْ لم يكنْ ذلك فسوف ينطبق علينا: فاقد الشيء لا يعطيه. فإن فقدنا أساليب التحوّط خيَّم الخطر ووقعت الحوادث تلك إذا أمية السلامة.

❋ ❀ ❋

أميَّة السلامة

نشر مفهوم السلامة بين الأفراد هو أفضل طريقة لإشاعة ترسيخها ، يتجرعها الشخص منذ نعومه أظافره في بيته؛ باعتبار أن البيت هو المدرسة الأولى، يهيِّئ الطفل للمرحلة التعليمية القادمة في المدرسة التي يتلقى فيها علومه، وأنماط تربوية في حضنها تذكو سلوكيات السلامة والوقاية من المخاطر التي تبدأ في البيت، وتذكو في المدرسة، كما تتبلور في المجتمع من خلال المنتديات والدوريات والاجتماعات والمجالسات أو أي ملتقيات على مستوى الفرد مع الجماعة أو على مستوى جماعة بأخرى، وهكذا يتعزز رسوخها واستيعابها الذي يستقر في النفس؛ ليستيقنه الفرد تلقائيًّا.

وإذا كانت السلامة تدخل في أوجه مختلفة من حياة البشر وجوانب متعددة في مكانه وتنقله وفي ضروب شؤونه وأقواته ومعاشه ومبتغى حياته، ذلك تعددية سلامية نوعية ، فهناك سلامة النفس وسلامة المال وسلامة العمل وسلامة السفر وسلامة المكان والإقامة والحركات والنشاطات الاجتماعية والأعمال المهنية والصناعية الحرفية والاقتصادية وكل ما بدا لك من أوجه الحياة.

فما من جانب إلاّ يحتاج إلى ما يسلمها من عكسها ؛ حفظًا من خطر، واتقاءً من حوادث، وتصونًا من تلف، وتحوّطًا من مرض، وابتعادًا عن مهددات المقلقات أيًّا كان نوعها، وأينما كان مكانها في البيت أو في مقر العمل أو وسائل النقل والأغذية المصنّعة والمأكولات الفاسدة وما شاكلها... إلخ.

إن عدم تبني السلامة وترسيخها منذ الصغر، فإنْ لم يكُنْ اهتمامنا بالوقاية من المخاطر وترسيخها من الصِّغر لتستقر في الأذهان وتعيها الأفئدة وإلا سينشأ مجتمع تلفُّه أميَّة السلامة، وتجانبه سيل الرشد الوقائي من أذى ومضار وآفات ومخاطر وحرائق وملمات وأهوال الحوادث المختلفة الملهكة أو دون المهلكة المورثة لعذابات وخلق أزمات وإزهاق أرواح تخنقها حسرات وتعمق أسافات وخسارات.

كل ذلك ينمو تحت جناح الجهل بمحاذير السلامة وقصور تثمين علو شأنها كونها غلافُ حياتنا ورداء عيشنا بدونها تتلبسنا الأخطار وتتخطفنا الحوادث وهي حالة إنْ جاز التعبير يمكن وصفها بـــ "أميَّة السلامة" أو قصور معرفة بماهيتها والوعي بمتطلباتها ؛ ذلك أن حياتنا قائمة على سلامتنا ومعيشتنا مرتكزة على قوامها، فإنْ لم نرعَها حقَّ رعايتها ونُعطها وافي حقها فإننا كسفينة نسير في عرض البحر في مهب الريح لا ندري متى تغرقها العاصفة إنْ لم نجد لها ما يصوِّب مسارها ويحفظ توازنها.

مما يفترض أنْ يتبنى الفرد السلامة كما يتبنى هواياته ومشارب رفاهيته ولهوه ولعبه وصداقاته وأنْ يصرف لها شيئًا من اهتمامه؛ تمجيدًا للنفس البشرية وصيانةً للروح التي بين جنبيه وما وهبه الله من نِعَم ؛ ليُوليها عنايته فالجامع بين كل هذه الأصناف من الحوادث هو فقدان السلامة.

❋ ❀ ❋

على ماذا يقوم فكر السلامة ؟

يقوم فكر السلامة أساسًا على : صيانة النفس ، وحفظ المال ، والالتزام بالدين ، والدفاع عن العرض ، واستبقاء العقل.

خمس ضرورات عظام في حياة البشر هي قوام الحياة وركائز المعاش والنشاطات الإنسانية ، قوامها العمل على حفظها يتعلم الإنسان كيف يحرزها مما يفسدها أو يعطل وظائفها .

السلامة يقابلها على الطرف النقيض لها الخطر يمثله الضرر والأذى أو التلف والمهلكة وإزهاق الأرواح وخسران المكاسب والمحصولات والممتلكات، ولا يتوقف نقيضها على الماديات أو فقْد الأرواح بل هناك نقيض معنوي يتمثل في الأسى والأسف ومكابدة الآلام .

فهي تشمل معنيين: ماديًّا ومعنويًّا، فالنقيض المادي يجسد مهلكة البدن كجروح وحروق أو كسور وحدوث تسمم واختناق وإغماء، وإذا كان الخطر أكثر عنفًا واستفحل فيصيب الروح بالهلاك ويذهب بها إزهاقًا.

وأما النقيض المعنوي فهو الندم والوقع النفسي الأليم وما يرسمه من ندوب داخلية يصارعها الضحية على مدار حياته، لا يبرأ منها بسهولة تُعمّق مأساتها كلما لاحتْ له سُويعاتها متذكرًا حالين: حال صراعه مع الحدث وما بذله من جهد للتعامل معه، وحال ما قبل الحدث من حيث تقصيره واستبعاد وقوعه، يلوم نفسه إذا لم يتخذ ما هو مفترض أنْ يفعله فهو بلسان حالين: صراع مغالبة، وصراع ملامة.

بمعنى أنه لا يستطيع صدّ وقوع الحدث إذا لم يتخذ أسباب وقوعه وأدوات الوقاية منه ، لذلك فهو واقع في فم الحدث بتأثيره المادي أو بتأثيره المعنوي إذا لم يكنْ له منه مخرج بأسباب منعه أو مقاومته.

إذن: نحن أمام نقيضين: أحدهما يُعمر والثاني يهدم. فأيّ النقيضين أوْلَى بالاتباع؟ فإما اهتمام يعمر قوام الحياة وإما إهمال يهدد قوامها ويخسرها. كلنا نقول: نعم لخيار السلامة، وكلنا يتوجس من الخطر وغيلته وما يُشكّله من تهديد للبدن والروح والمال والممتلكات ومردوداته النفسية الموغل بالبؤس والشعور بالأسى.

وعلى هذا يمكن القول: إن خيار السلامة من الحوادث كخيار الصحة من المرض، والقاسم المشترك بينهما هو الوقاية. فإذا كان الطب يعنى بالخطر على الصحة والعلل الجسدية يشخص الداء ووصف الدواء فإن السلامة تعنى بخطر الحوادث، تشخص مسبب وقوعها وتصف أدوات منعها وأساليب تلافيها.

فإنْ جاز القول أنْ نطلق على السلامة طب الحياة وخاصة في المنازل التي هي مدار حياتنا وثبات استقرارنا. وكما أن إهمال العلة يفضي إلى مضاعفة المرض فإن إهمال السلامة في المنـــزل يضاعف نُذُر وقوع الحوادث.

❋ ۞ ❋

من أين تبدأ السلامة وإلى أين تنتـهي؟

لكي نجيب عن هذا السؤال علينا أنْ نفرِّق بين: من أين يبدأ الخطر؟ وكيف ينتهي الى حدث ؟ إن مجرد إحساسنا بوجود خطر ما علينا أنْ نتوقع أنه يعقبه حدث فهو بمثابة مؤشر له ، وطالما الخطر قائم ولم نتحرك باتجاهه فالحدث وارد ، بمعنى أننا إذا لم نتخذ الاحتياطات الإجرائية لمنع وقوعه، فسيحدث في أي لحظة.

إذن: تبدأ السلامة من حين توقّع الخطر، وبتوقعه يعني إدراك إمكانية حدوثه أو يوشك أنْ يقع فيتوجب منعه، فإذا علم المرء أن خطرًا يحدق به، فهذا يعني أن حدثًا سوف يقع فما يحفزه إلى تعطيل أسباب وقوعه لتسلسل عملية الوقاية، ثم تتخذ إجراءات الحماية ثم عملية تفعيل أدواتها وآلية التعامل معه لتخفيف حدة خطره جزئيًّا أو كليًّا، فالخطر قائم وعدم التفاعل معه أكثر خطرًا وذلك لعدم توقعه أو إغفال جانبه أو تجاهله .

أما منْ حرَّك حسَّه واستدرك إمكانية الأحداث قبل وقوعها وعمل على منعها وحضر وسائل دفعها والتعامل معها ، فذاك من أدرك الخطر، فعمل على لجمه قبل أنْ يقع في دائرته، وهذا هو منطلق بداية السلامة. أما كيف ينتهي إلى حدث؟ إن أيَّ مؤشر لوجود خطر يعنى أنه سيتفاقم شيئًا فشيئًا إلى أن يصل إلى نقطة لا رجعة. فيكون حادث.

❋۞❋

أمارات الإنذار المبكر لوقوع حادث

كما قلنا: إن أيَّ حادث لا بد له من مؤشرات تنذر بوقوعه، فلو أخذنا حادثَ حريق مثلًا وجدنا أن مؤشراته يمكن الإحساس بها، وهي بمثابة إنذار مبكر. مثل: تصاعد دخان، أو رائحة أو احتراق، أو صدور ومضات من مقابس الكهرباء (الأفياش)، أو ارتفاع درجة حرارة الموقد أو الأفران، أو احتراق الأسلاك، أو تفحم الطعام على النار، أو تصاعد أبخرة من السخانات، أو انتشار رائحة غاز، أو ارتفاع درجة حرارة قدور الضغط، أو سماع أصوات متقطعة في الأدوات الكهربائية...إلخ.

- ولو أخذنا حوادث التسمم: فيدل عليه تغيّر الطعم، شمّ رائحة متغيرة، تغيّر لون الطعام، أواني ملوثة وضع فيها الطعام...إلخ.
- ولو أخذنا سقوط الأطفال من النوافذ أو درجات السلالم أو سطوح المنازل فهناك مؤشرات يجب الالتفات إليها كأنْ تكون النوافذ مفتوحة غيرَ محاطة بعوارض، أو الأرضية المسرمكة مشبعة بالماء والأسطح غير مُسيّجة بسياجات حائطية (جدران)
- ولو أخذنا الآلات الحادة؛ كأنْ تكون مبعثرة: تغري ليتناولها الأطفال، وينطبق هذا على الأدوية والمواد الحشرية أو الأسمدة المستعملة في الحدائق وأدوات النظافة والمنظفات الكيمائية ....الخ.
- ولو أخذنا الكهرباء: فالأسلاك العارية أو المجروحة أو المخدوشة سيصدر منها شرارة كهربائية، وكوْن الأسلاك غير

مُلبّسة بواقٍ، وفي مدى تناول الصغار أو تشقق جزء منها وظهر أسلاكها أو تحميل الأفياش فوق طاقتها.

- ولو أخذنا المكيفات: فإن الاستخدام الطويل وتلبيس واجهته بمادة ثلجية بيضاء ، أو صدور أصوات غير عادية .
- ولو أخذنا أجهزة التدفئة: فارتفاع درجة الحراة، والاستخدام المستمر والأدخنة الصاعدة من وسائل التدفئة التقليدية، كالفحم والحطب في الأجواء الباردة بالأماكن المغلقة، والشعور بكتمة وضيق نفس.
- وإذا أخذنا النظافة والترتيب: فالأشياء المبعثرة وتراكمها تحت السلالم أو الزوايا في البيت مرشحة لحدوث حريق عند ملامستها لمصدر حراري كعود كبريت أو شرارة كهرباء أو رماد حار...إلخ.
- لو أخذنا الغاز: فوضع الأسطوانة في مكان ضيق غير جيد التهوية، أو تشقق خرطوم (لي) أو قربها من المواقد والأفران أو تعرضها للهب.

كل ذلك على سبيل المثال وما على شاكلتها كثير تُنبىء بوقوع حوادث كان يجب الالتفات لها ووضعها في الحسبان ومعالجتها وهي في حالة خطر قبل أنْ يتحول إلى حادث، فبعضُ العلامات مدركة ظاهرًا مثلما ما ذكرنا آنفًا وبعضها يمكن إدراكها حسًّا، أي أن الحوادث لها مقدمات يمكن إدراكه قبل وقوع حدوثه.

فتذكروا يا أهل الحسّ اليقظان قبل أنْ تقعوا في غياهب الأحداث وتتردى بها الأحوال.

❃ ❀ ❃

حسبة الموازنة بين سلامة تُؤمِّنك وخطر يداهمك

الحسبة بسيطة، هي عبارة عن زائد أو ناقص، فالزائد جمع أطراف مؤشرات الحادث، كأنْ تشم رائحة غاز، أو آثار تماس كهربائي على المقابس (الأفياش)، أو صدور أصوات خفيفة، أو دخان بسيط من تحت الطاولات أو الأثاث. وتصوَّر ما شئتَ في هذا الباب.

تلك مؤشرات وغيرها تستجمعها بالحواس الظاهرة شمًّا أو رؤيةً أو ملمسًا أو ضيق تنفس وتستشعرها بحواسك الباطنة، فإنْ استظهرتها فاطرح منها إهمالك وغفلتك، فحاصلُ طرحها يساوي موازنة بين حالين: حالة أمان، وحالة خطر. فإنْ عرفتَ الخطر عرفتَ كيف تطوقه على مبدأ الأشياء تعرف بأضدادها، وفي ذلك فطنةٌ والفطنة دراية، فإنْ تولَّد في الإنسان شكٌّ بوجود خطر واستجمع أطرافه عمل على قطع دابره وقمعه، وفطن إلى أسبابه، وعرف كيف يعاجله ولا يؤاجله. وفي بعض الأمثال: الشك من حُسْن الفِطَن، فكُنْ فطنًا اليوم ؛ لئلاّ تكون صريعًا غدًا .

- طوِّقه قبل أنْ يُطوِّقك.
- سارعه قبل أنْ يسارعك.
- الجمه قبل أنْ يلجمك.
- رده قبل أنْ يرتدّ عليك.
- اردده قبل أنْ يرديك.

- عاجله قبل أنْ يعاجلك.
- الموازنة حسبة الشيء وضده ، فإنْ لم تعرف طبيعة الشيء فلن تعرف طبيعة علاجه، فالسلامة كما رددنا ضدها الخطر. ومن السلبية أنْ تترك الخطر يترعرع، ومن السلبية أنْ تتركه يستشري ولا تعمل على قمعه، فيأتي مرده وخيمًا على بيتك، تخسر أهلك وعيالك ومكان راحتك ومقام سكنك.
- لا تذهب كثيرًا مع بعض المقولات التي تحتمل التسويف، كأنْ يُقال: لكلِّ حادث حديث. كأنك بهذا تستبطئ وقوع الحوادث أو لا تحتمل وقوعها.

وتأجيل الحديث فيها حتى تقع عندها لا ينفعك قول لكل حادث حديث ، فبعضُ الحوادث كالحريق مثلًا لا يحتمل هذا القول بل يجانبه الصواب، منْ أخذ به ندم. أو ليس الندمُ شعورًا بالأسى؟ وإحساسًا بالأسف؟ وحسرةً على فقدان أرواح؟ أو تلف ما أشدت وبنيت؟ وما جمعته متفردًا مع متواليات الأيام؟ قد يضيع متجمعًا في سُويعات الثواني.

هكذا هي حوادث الحريق، من خصائصها أنها سريعة السريان، تلتهم ما يقع في محيطها، لا تبقي على شيء أتتْ عليه إلا جعلتْه رميمًا، وإنْ لم تدمِّر تتلف، وإنْ لم تتلف كليًّا فتلف جزئي وتعطيل، وما ينسحب على الأشياء ينسحب على الأشخاص، وإنْ تجاوزنا الماديات وإمكانية تعرضها، فإن الإصابات في الأرواح لا تُقاس بثمن، ويبقى أساها غائرًا في النفس مع الزمن.

مَنْ يا تُرى صنع هذا ؟

الإهمال، الغفلة، المشاغل، عدم الأخذ بالأسباب، التجاهل، الاسترخاء، برود الأعصاب، التكاسل، تأجيل ما يمكن عمله اليوم إلى غد، استبطاء وقوع الحوادث، كأنما التواني عن عمل المبادرة، أليس ألماً وندمًا وخسرانًا؟! ماذا تجلب لنا هذه أو تلك؟!

إذا أين يكمن الخلل؟

يكمن الخلل أن كثيرًا من الناس لا يتوقعون حريقًا في منازلهم ، فإذا وقع وأصابتنا فواجعه انتابنا الندم ، فما نفع الندم .

❋ ❁ ❋

سلامتك في متناول يدك

المشتغلون بهموم السلامة يعلمون أن السلامة سهل ممتنع، هي من السهولة بمكان إذا أعرناها اهتمامنا وأعطيناها حقّها من العناية ووعينا قيمتها التي لا تُقاس بثمن ؛ لسلامة نفوسنا وأهلينا والتي بها يضحى بيتنا واحة ملاذ وراحة مكان، وهي ممتنع إذا لم نعيها ولم نفقه قيمتها إلا بعد أن تلفحنا نقم الحريق ونلمس لسعات النار وخراب الديار وإزهاق الأرواح وتلف الممتلكات وأوجاع الأسى والتحسُّر على ما انقضى وفات ، عندها يشعر المرء حسرة وندامه.

وقد أثبتت التجارب أن من اتخذ احتياطات وحرّك ملكات الحذر وأعمل حسّه ؛ وازن بين يقظة السلامة وإهمال الخطر، متمثلًا بمقولات إيجابية صاغها مجربون ونصح بها الناصحون ؛ ليجعلها أمام عينيه.

قديمًا قالت العرب: الوقاية خير من العلاج. وقالوا: درهمُ وقاية خيرٌ من قنطار علاج. النارُ من مُستصغر الشرر. هل استرجعت هذا المثل وهل دار في خَلدك ؟ ألم تضعه في حسابك ؟

❋❀❋

هل خامرك مرَّةً هذا السؤال؟

- أيمكن أنْ يندلع حريقٌ في بيتي؟
- هل أنا مستعد له؟
- هل حاولت الإجابة عليه بنعم؟

فإنْ لم يكُنْ كذلك فأنت في خطر. سيداهمك بغتة، فلستَ في حِلٍّ منه تترك أمور السلامة مؤجلة نسأل الله ألاَّ يباغتك حريق ؛ لأنه مفجعٌ حماك الله من فجعته، لكن هذا لا يعني ألاّ تتخذ من الاحتياط ما يمنع وقوعه.

- هل فكرتَ يومًا في تحديد مواقع الخطر في منزلك ؟
- وهل خطر لك لحظة أن ناقشت هذا مع أسرتك؟

إن لم يكن الأمر كذلك فبيتك في خطر ، لا تقلل من شأن الحريق أو تستبعده ، لا تستهنْ بإمكانية وقوع حوادث في المنزل، فحوادث المنازل في ازدياد، فلا تجرَّ على بيتك ما يعكر هدوءه فأعطه شيئًا من همك فبقدر ما تعطي تأخذ، فأنت في مأمن –بإذن الله– ويصح أنْ يطلق عليه البيت الآمن برعاية الله ثم رعاية أهله.

فلا تنسَ أن أغلى ما في الوجود على الإنسان هو سلامة نفسه وعياله وسلامة بيته وممتلكاته ، ولا أقسى على إنسان من فقدان نفسه وعياله وخسارة أمواله وممتلكاته ، فلتكنْ غايتك السلامة فهي توازي قيمة وجودك ، وهي حصنُ بقائك وسلامُ معاشك ، ومنزلك مستودع راحتك ، حافظ عليه من الهلاك.

السلامة: استهدفها تستهدفك وهاتفها تهاتفك ، وامتطها تكُنْ مطيتك إلى العافية في شؤون حياتك ومعاشك وأهلك وولدك. فإنْ جانبتها جانبتك وإنْ أهملتها أهملتك ، وإنْ غفلتَ عنها غفلتْ عنك، وإن استهنتَ بها استهانتْ بك ، فهي بك تفعل فانفعل بها تنفعل فيك، فهي فعل حاضر ومقبل.

إياك أنْ تجعلها فعلًا ماضيًا أو خبرًا لكان ، استغلها يأتك ربحها إيجابًا مريحًا ، وإنْ لم تستغلها عطلتها فيأتك فعالها سلبًا مخسرًا. ونمثل بقول أبي الطيب المتنبئ:

لِكُلِّ شَيءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ   فَلاَ يغرَّنَّ بِطِيبِ العَيْشِ إِنْسَانُ

فهل في حوادث الحريق مهادنة؟ الحريق لا يُهادن إنْ لم يُصب البدن أصاب النفس بالندم ، وإنْ لم يُصب إصابة كلية أصاب إصابة جزئية ، ومن خلال الحالين خسارة مادية ونفسية.

فمنْ استلهم الأمر وعظمتْ مصيبته فقد جمع بين استشعار الخطر وتدابير الوقاية من الحوادث كلاهما في سلة واحدة لا ينفصل أحدهما عن الآخر؛ لأن الثاني لا يأتي دون الأول وبذلك يكون إبعاد الخطر يعني توفير السلامة ، فإنْ لم يكُنْ معالجة الخطر حاضرًا أصلًا فهذا يعني أن الحادث حالٌّ لا محالةَ إلا أنْ يشاء اللهُ عدم وقوعه ، فله تعالى الأمر من قبل ومن بعد.

إلا أن المبدأ الأساس للوقاية من الخطر يبقى بين مفهومين مرتبط أحدهما بالآخر. هما: الشعور بالخطر والوقاية منه، يجمع بينهما شعور واحد. أي: الشعور بوجوده أو الشعور بالوقاية منه والاحتياط دونه ؛ كي لا يقع ، فإنْ وقع فهو بسبب تراكم وتفاقم

السبب الذي لم يُعره صاحبه عنايته ، فالسببية هي المحرك الكامن وراء وقوع الأحداث المهلكة حيث لم يتحرك لإبطال مفعولها ، فكان فى موضع تأجيج حتى وصل إلى حدٍّ لا رجعة لوقوعه وقد غاب عنه توقعه.

- فلو قُدِّر أن لك أنْ تتحدث إلى شخص وقع في منزله حريق غاز في المطبخ وسألته : كيف وقع الحادث؟
  سيقول: لا أدري.
  فنسأله سؤالًا آخر: أمَا كان هناك رائحة غاز؟
  سيقول: ربما رائحة بسيطة غير مثيرة للقلق ، ما ظننت أنها ستحدث حريقًا.
  فهل ظنه في مكانه؟!
  لقد كان ذلك مؤشرَ خطر لم يعر انتباهه ، فتركه يتواصل حتى وقع المحظور.
- فقليل من الحذر يقي –بإذن الله– كثيرًا من مآسي الحدث.

❋❁❋

كيف تتحقق السلامة ؟

السلامة تبدأ من عاملين:

أ- **حسّ** : وهو استحثاث النفس لاستظهار بواطن ما يثير قلق بحث للتفتيش عنه. وهي حالة استطلاع أوليّ؛ لكشف مبعث القلق.

ب- **من عملية الاستطلاع سيحدد ما هو المقلق ونوعه** : وهذا يعنى أن السلامة بين حالين: إحساس واستظهار أي إدراك واستدراك. فإنْ لم تكُنْ مُدركًا فلن تكون مستدركًا، فسيقع الخطر وتطالك مضرته.

لذلك فإن كثيرًا من الحوادث التي تقع في المنازل لا تخرج عن العامل الأول ، عدم إدراك مصائب الحوادث وتركها تتفاعل مع تداعياتها دون أن تتفعل لمنعها فتحلّ عليك مصائبها فجأة وأنت في غفلة من أمرك ، وهو ما يعني أن الحسّ الوقائي معطل ، فلماذا تعطله أو تضعف ملكته وهو مجس أولي يفزع في الباطن إذا لاح ما يهدد وتستلهمه النفس؛ خشية الوقوع فيه أو التورط بحدثه؟

من أجل ذلك كان علينا أنْ نُعمِل حسّنا الوقائي الذي يوقظنا إذا غفلنا وينبهنا إذا انشغلنا ، يدق ناقوسه في الباطن لتتداعى له جوارحنا وينشغل به همنا اتقاء وقوعه ، وذلك هو المبدأ الذى تقوم عليه السلامة "لعبة الحياة".

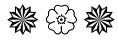
❋ ❀ ❋

السلامة لعبة الحياة

منْ لعبها بأصولها ربح ، ومنْ لم يجد لعبتها خسر، تُطوِّقه مخاطر من حيث يدري أو لا يدري ، إلا أن لعبتها لا تأتي جزافًا أو ضربة حظ ، هي ذات أبواب تدخل منها ومنافذ تلج إليها ، أما أبوابها فاستشعار الخطر وتعليل نُذُر إشاراته ، وأما نوافذها فأدواتها ، وتوقّع خسائره.

تلك مفاتيح تطويق الأحداث ، يتولد حسٌّ لدى الشخص أنه لا منأى من الحوادث ؛ ليقفز إلى الذهن سؤال : ما الذي يجب عليّ فعله ؟ جوابه: إجراء ، وكل إجراء يحوي فعلًا تفعله ، وتجهيزًا تجهِّز به الحادث إذا وقع.

هنا يأتي إتقان اللعبة ، والإتقان صورة من صور العبادات ، جاء في هذا الصدد الحديث الشريف عن المصطفى صلى الله عليه وسلم : ((**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه**)) [1] فكلما أتقنتَ موجبات السلامة وسبل الوقاية من الحوادث عملت بينك وبينها حواجز ، آخذًا بالأسباب متوكلًا على الله بها ، عندها تكون قد لعبت اللعبة على أصولها ؛ صيانةً لنفسك ومالك ومتاعك ومنافعك من العَنَت وهمِّ الأحزان ، وبذلك تكون قد صفت سوية الحياة.



(١) أخرجه أبو يعلى والطبراني.

أخطاء تشكِّل أخطارًا

من الأخطاء الشائعة في المنازل التي يقع فيها الناس عن غير قصد ، ولا يدركون أن ممارستها أو استعمالها فيه من الخطورة ما قد يكون سببًا في إيذائهم، أو يترتب عليها أضرارٌ لا تظهر إلا بعد حين ، أو إذا وقع فيها صاحبها أو سمع بها ولم يتعظ وربما حتى بعد السماع بها، ونود أنْ نسلط الضوء على بعض تلك الأخطاء، وهي أخطاء شائعة تهدد سلامة المنازل.

- ❖ هل يعلم أحدنا أنه يزرع في بيته قنبلة موقوتة يعلم بها ولا يعلم مدى خطورتها؟ إنها أسطوانة الغاز! فهي بقدر ما فيها من نفع فهي عدو لدود للإنسان، انفجارها شديد ودمار رهيب، وحريقها على أشنع ما يتصور المرء، وتسرُّب غازها على أبشع ما يكون الخنق، وعندما نصفها بأنها قنبلة موقوتة، فالوصف لم يأتِ من فراغ، فمن وصفها بذلك يعني ما يقول، فهي تحوي في جوفها أضعاف َاستيعابها بطريقة الضغط، وكذلك فهي قابلة للانفجار إذا ما توفرت أسبابُ إثارتها، كأنْ تكون معرّضة للهب ، أو مكشوفة تسلط عليها حرارة الشمس في الصيف القائظ ، أو موضوعة في مكان ضيق عديم التهوية.

ومن الجدير بالذكر أن تتفقد الأسطوانة ، فمن الخطأ أن نغدو بها للاستبدال من مكان توزيع الغاز ونترك أمر تفقدها لعامل التوزيع الذي قد لا يعطيها عناية كافية، مما يوجب أنْ ننبه إلى ضرورة تفقّد الجلدة والمنظِّم والمظهر الخارجي واستبدالها مع كل مرة إلا أن تكون جيدة.

- في الآونة الأخيرة شاع في البيوت استخدام بلاط السيراميك وهي مادة منزلقة، والأكثر خطورةً إذا كانت مبللةً بماء أو صابون فتكون أكثرَ قابلية للانزلاق ، فتكون بذلك أكثر خطرًا، ومن الأنسب أنْ يتم اختيار نوعية خشنة أو ذات بروز تقلل من نسب الانزلاق.
- ترك المبخرة داخل الدولايب ، مع ما فيها من جمرات النار ، بغرض تبخير الملابس، أو وضعها بمداخل المنازل ونسيانها أحيانًا.
- في حال تسرّب الغاز قد يسرع بعضهم إلى إضاءة مصابيح (لمبات) الكهرباء، فعند إشعال الإضاءة تشتعل شرارة كهربائية قد لا ترى بالعين المجردة فتسبِّب حريقًا.
- بعضهم يجهل خطر أسطوانات الغاز ، فقد تُوضع في أماكن مغلقة أو بالقرب من أفياش الكهرباء أو أماكن ضيقة معدومة التهوية ، مما يزيد من خطرها.
- ترك المفاتيح في أبواب الغرف ، فبعض الأطفال قد يُحسن غلق الباب لكنه لا يُحسن فتحه.
- ترك فتحات مكشوفة تسبب سقوط الأطفال.
- استخدام الحطب والفحم للتدفئة في الشتاء في غرف مغلقة تسبب اختناقات قد تؤدي إلى وفيات.
- كثيرة هي الملاحظات، وجمّة هي الأخطاء التي قد يصعب سردها وقد يغيب بعضها عن السرد ، لكن الفكرة التي نود إيصالها أنْ يكون الإنسانُ حارسًا على نفسه، رقيبًا على حياته،

محافظًا على معاشه، مهتمًّا ببيته وأهله، ينتبه لما حوله، يتفكر فيما يحيط به.

- لا تترك أمور حياتك في سلة الإهمال، أو خانة الغفلة معتمدًا بأنه لم يسبق أنْ وقع حادث أو هنة من هنات اليقظة ، وتفقد الأحوال في المنزل قبل النوم وعند المقيل وقبل دخول المطبخ وعند الطبيخ قد تفيد كثيرًا ، ويجعل الله لك مخرجًا من شر الحوادث ومصائبها.

ما أوردناه أمثلة لعلها تقود إلى مثلها او أدق منها ، هي للاسترشاد وطرق سبل الرشاد.

الحوادث الشائعة في المنازل

الحوادث: جمع حادث ، وهو فعل سالب عميق الوقْع ، يفضي إلى مهلكة أو يجرّ مضرة أو يصيب متلفة على النفس والمال والأهل أو الولد ومكتسب العيش ووسائل الاسترزاق ومراتع الانتفاع والمتاع. وليس هذا فحسب فقد يخلف ندوبًا على وجه الحياة العامة ويُدخل الإنسان في مأزق الأزمات ، بعضها مهول تضطرب معه الأحوال ويموج فيها السكون .

من سمات الحوادث أنها لا ترعى قيمة لأحد ، ولا تصيب إلا في مقتل أو موجع أو مخسر ، إنْ لم يكُنْ بالإمكان السيطرة عليها في حينها.

ومن الحوادث ما تكون فجائية غير متوقعة تأتي نتائجها سيئة للغاية، لكن الأسوأ أنْ تكون متوقعة فلا يحسب لها حساب بعمل يمنعها أو يصدها أو على أقل تقدير يحدّ من عنفوانها ، والأكثر سوءًا في حوادث المنازل حوادث الحريق التي تتسع بسرعة ويضطرم لهيبها ويتصاعد دخانها وتنتشر حرارتها مع وقت وقوعها ، فمنذ اشتعالها تبث نيرانها ، إنْ لم يكُنْ هناك قدرة على التعامل معها في حينها فسوف يكون وقْعُها عسيرًا على الإنسان.

ويمكن رصد نوعيات الحوادث في البيوت على سبيل المثال لا الحصر:

❖ حوادث الاختناق خاصة بين الصغار.
❖ السقوط من أماكن عالية كالنوافذ والشرفات أو أثناء تسلق الجدران أو تعليق الأشياء أو اللعب بها.

- الانزلاقات في الأرضيات المبللة بدلاً من السجاد، أو الأرضيات المبلطة بالسيراميك الناعم التي استبدلها الناس بدلاً من السجاد.
- حوادث الغرق في بِرَك السباحة.
- حوادث الحريق.
- حوادث احتجاز الصغار في الغرف أو الحمامات وخلف الأبواب المغلقة.
- حوادث التسمم الغذائي والعبث الطفولي بالمبيدات الحشرية والمواد السامة ، والعبث بالأدوات الحادة والثقيلة كالسكاكين.
- حوادث الكهرباء واللعب بمقابسها.
- ملامسة الأدوات الساخنة كأوعية الشاي والقهوة وقدور الطبخ.
- اللعب بالكبريت والولاعات التي يندفع إليها الأطفال بدافع الفضول.
- العبث بمفاتيح الأفران وأسطوانات الغاز.
- تسرب الغاز.
- حوادث السخانات وأجهزة التدفئة والمكيفات.
- حوادث الزيوت الساخنة.
- حوادث المصاعد في المجمعات السكنية (الشقق).
- مواد ملتهبة أو ذات خاصية الفرقعة كالمعلبات الغازية المضغوطة.
- لعب الأطفال النارية التي تجلب للأطفال في الأعياد والمناسبات.

❖ القيام بممارسات خاطئة كرفع الأطفال بالقرب من المراوح ، أو استخدام مواد مشتعلة ، أو ترك النار مكشوفةً أو بالقرب من الفرش أو الكتب أو ورق وكراتين إلى غير ذلك.

❖ المخاطرة غير المحسوبة لمحاولة إصلاح الكهرباء.

❖ ترك المباخر داخل دواليب الملابس وبها جمراتُ نار يوضع فيها بعض المعطرات لتبخير الملابس دون رقابة أو محدودية وقت.

❖ بعضهم يجهل طبيعة الغاز ، فقد توضع في أماكن مغلقة أو بالقرب من مقابس (أفياش) الكهرباء أو أماكن ضيقة شحيحة التهوية مما يزيد من خطرها.

❖ في الشتاء يستخدم الفحم والحطب؛ للتدفئة في غرف مغلقة، فتتراكم أدخنتها وتفسد هواء الغرفة، فتقع بها حوادث كتمة قد تصل إلى الوفاة.

يقول تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾[1]

أورد ابن كثير في تفسيره أن الله تعالى رغَّب في الجنة ودعا إليها وسماها دار السلام . أي: سالمة من الآفات والنقائص والنكبات.

والملمح هنا: أن الدار التي يقطنها الإنسان في الدنيا هي الأخرى لا بد لها أنْ تكون سالمة مما يؤرق ساكنها ، ومصانة مما يُوقعها في سوء ويحفظها من حوادث تخيِّم عليها بهدوء، تخيم عليها سكينة إذا لبَّى ما يستوجب سلامتها.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٢٥.

وإذا استلهمنا نصوص القرآن فإنها توحي لنا أن الله منحنا نعمة الدار مسكنًا وأمانًا ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنًا ﴾[1]. وقد أشرنا إليه في موضعه.

والقاعدة أن النصوص الشرعية بمدلول معانيها لا بخصوص ألفاظها، فالسكون مستوجب أن يعمم في دار الدنيا وقد خصه الله بالذكر في قوله ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنًا ﴾ وقد تقدمت الإشارة إليه.

يقول الشوكاني في تفسيره: إن لفظ السلام هو السلامة على غرار ثواب ومثوبة[2].

وبهذا فالدار ساكنة. أي: سالمة. وإن قلنا: آمنة. فهي محل أمن مما يشوبها أو ينتهك حرمة قرارها أو يُخلخل سكونها أو يهدد هدوءها ويحيلها إلى خراب أو دمار وخسران أو هلاك ساكنيها وتبديد استقرارهم والعبث بمقدراتها وتداعي بنيانها العمراني والنفسي والسكني واكتساح جمعها العائلي.

فالله الذي هيَّأ للإنسان بيتًا يقبع فيه ويسكن إلى أهله ويربِّي صغاره لا يجب أنْ يتركه محلَّ إهمال أو غفلة أو نسيان أو جهل أو تجاهل أو سوء تقدير أو تماهل وتهامل، فالحفاظ عليه واجب ورعايته أمانة يجب الوفاء بها.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٨٠.

(٢) تفسير الشوكاني.

الأطفال والحريق

إذا كانت سلامة المنازل من الحريق مُرتكزَ حوارنا في هذا المقام فثمة تركيز خاص نفرزه لحماية الأطفال الذين هم أكثر ضحايا حوادثها وبالذات الفئة العمرية ما دون العاشرة بفعل ما لديهم من فضول طفولي يغريهم لاكتشاف ما حولهم من الأشياء ويدفعهم إلى تناول ما يقع أمامهم أو يلفت نظرهم ، فكم هي الحالات التي تُنقل إلى طوارئ المستشفيات جراء حريق قادهم إليه فضولهم من غير وعي عقلي أو إدراك معرفي غيبة اهتمام وغفلة الأهل مُخلفًا مأساة تصعق الأفئدة .

وسوف نسرد بعض الحالات على سبيل المثال لا الحصر لعلَّ فيها ما يُوقظ قلوب الغافلين عند أطفالهم :

- **الكهرباء** : نعمة من الله لعباده إذا أُحسن استخدامها وإلا انقلبت غُمَّة بشكل عام وعلى الأطفال بشكل خاص. فالطفل بطبعة عدو نفسه كما يُقال لا يدرك مغبَّة خطورتها ويجهل حدة طبعها فيقدم على العبث بها كما لو كانت لعبة يداعبها بيده، أو يُدخل فيها آلة حادة أو يحاول ملامستها فتصيبيه لمسة حارقة أو عصبية أو يحدث حريق حوله لا يستطيع التصرف حياله أو تفاديه ولا يدفعه عن نفسه لا طاقة له به فيقع ضحية له. فلو أحطنا ضد ذلك ببعض الاحتياطات البسيطة كتغطية الأفياش بشريط عازل أو أغطية ملائمة لحماية الأطفال من حوادثها .

- **الغاز** : بعض الناس يطلب من طفل إقفال فرن الطبخ أو الموقد فلا يُحسن القفل فيتركه في وضع نصف قفلة بحيث يبقى الغازُ يتسرب ببطء مما يؤدي إلى حريق بمحرد وجود مؤثر كإشعال كبريت أو شرارة كهربية يشبّ بها حريق يذهب ضحيته الطفل .
- البعض قد يطلب من أحد الأطفال إدخال فيش جهاز في قابس الحائط فلا يجيد إدخاله بطريقة سليمة وربما الأسلاك مهترئة أو مخدوشة مما يُحدث تلامسًا للأسلاك فيحدث حريقٌ يتضرر منه الطفل .
- **السوائل الساخنة** : لها نصيب كبير من حروق الأطفال كأنْ تترك بالقرب منهم أو في متناول أيديهم أو في دائرة لعبهم وحركتهم والشواهد على هذا كثيرة مثل أباريق الشاي والقهوة وأوعية تسخين المياة وما شابهها.
- **مواقد الفحم والحطب** : ما أكثر ما نسمع عن حالات اختناقات وبالذات في الليالي الشاتية إذ يستخدمها البعضُ وسيلةَ تدفئة ، فلا يجب ترك نارها بعد انتهاء الغرض منها والتأكد من إخمادها تمامًا .
- **أطباق الأطعمة الحارة** : تدفع الطفل للعبث أو الاقتراب من طاولة الأكل أثناء تحضير السفرة يعجبه شكلها أو رائحتها يتناولها وملامستها وربما سحب طرف السفرة فتسقط عليه وتمسه لسعات حرارتها.

- **أدوات الإشعال:** كأعواد الكبريت والولاعات يستهوي الطفل اللعب بها ، فلا يجب تركها على الطاولات أو في مواضع الوصول إليها.
- بعض لعب الأطفال مزودة ببطاريات لإعادة الشحن فقد يأتي طفل يشحن لعبته فيضعها في محول مركب عليه أكثر من شاحن مما يزيد عن قدرة احتماله فيحدث تماس يخلف حريقًا .
- **بعض أواني الطبخ** : ذات مقابض طويلة أقرب لتناول الطفل فتنقلب عليه فالأحوط أنْ يُدار المقبض إلى الداخل حتى لايكون عُرضة لتناوله .
- ناهيك عن الحركة النشطة عند الأطفال التي تعرضهم للتعثر والسقوط ينتج عنها ارتطام بالأرض أو الاصطدام بأجسام صلبة . إن باب حماية الأطفال عريضٌ وما من أم وأب إلاّ يعرف ماهية المخاطر التي يمكن أنْ يتعرض لها أطفالهم وهم من فرط حبهم يمطرونهم بنصائح وإرشادات وتحذيرات خشية عليهم من مكروه سواء في البيت أو في أماكن اللهو وفي البر والشواطئ ومواقع المنتزهات ... الخ. ومهما حاولنا أنْ نحصر المخاطر التي تحيط بالطفل فقد يصعب حصرها فيبقى الحريق أبا المخاطر وأم المهالك.

مثل هذه الصور شائعة الوقوع في المنازل وغيرها كثير ، فأنصح ما ينصح به المهتمون بحماية الأطفال ألاّ يتركوا في

البيوت بمفردهم خاصة ما دون العاشرة من العمر ، فهم أقرب ما يكونون إلى هذه الحوادث في غيبة الأكبر منهم ، فلا يجب أن يشغل عنهم شاغل .

عندما ندعو إلى ذلك ونركز عليه لا يعني أن هناك تقصيرًا من الأهل بالأبناء وإنما ما ننشده هو الحرص ولا للإهمال ونفض الغفلة ، فهي مرتع خصب لحرائق المنازل. أفاء اللهُ عليها بالسلامة من هول الحرائق وحمى عيالها من لسعها الحارق.

فما أحلى لهو الطفولة ، بهجة ترسم على الشفاه فرحةً وتنفرج الأسارير بهم رحمة ، بشرط ألاّ يغيبوا عن الأعين ولا يشغل عنهم شاغلٌ لأنهم جزء منا وبعض كياننا ، هم ثمار القلوب وعماد الظهور وقرة العيون وريحانة الفؤاد .

وصفهم شاعر يقول:

إِنَّمـــَا أَوْلادُنــــَـــا بَيْــنــنـــَا أَكبَادُنَا تمشِي عَلَى الأَرْضِ

وتلك أعرابية تداعب ابنها تصف مشاعرها نخوه تنشد قائلة :

يَا حَبَّذَا ريــــح الوَلَدِريح الخَزامى في البَلَد

أهَكَذَا كُل وَلَدِ أم لم يَلِدْ قَبْلِي أَحَد

فرط حب الأبناء لا يضاهيه حبٌّ سوى حب الله ورسوله ، آفته الالتهاء عنهم بمشاغل أو غشوة غفلة والاستئناس بالجلسات والوناسات تُنسي البعض أولادهم ، وعندما يقع أحدهم في خطر يصعقون وتشويهم حرقة ويكويهم ندم .. فمنْ كان السبب ؟

ولكي يكون همّ السلامة حاضرًا ينبغي تنشيط الحسّ الوقائي الذي يمنحنا قدرة على اكتشاف الخطر ومواطن احتمالات الحوادث لنتلافاها قبل أنْ يحل بؤسها ، فما هو الحسّ الوقائي ؟

الحسّ الوقائي

كلّ إنسان تتملكه خشية وتوزعه خشعة من أنْ تُلمّ به مُلمَّات قاسية ومعاناة موحشة وحوادث تُوقعه في مآزق لا يتمنى الوقوع فيها نفسه أو ممتلكاته ، ويأتي أمان المنزل في أولويات أمنيته ؛ كونه مأوى سكنه ومكان راحته وعشّه مع زوجه وولده ، من منطلق أن السلامة قاعدة أمان المنازل، وهو الهاجس الذي يستحوذ على أي إنسان ، مضمونه الشعور بالأمان والخلو من غارات المحدثات ، وهي نزعة باطنة تستحثّ الإنسان لاستشعارها ؛ لاستباق إبطالها بما نسميه الحدس التوفيقي ، وهو ما يوصلنا إلى تعريف الحس الوقائي بأنه:

إحساس الباطن ومعتلج الخاطر، كناقوس يدقّ من عالم غير مرئي يعلم بوجود ما يوجب الاحتراس منه ، يفزع له الداخل، ويُوقظ النفس محذرًا ومنبِّهًا ، وهو ما يدعو إلى القيام بعمل يصد ما ينذر بخطر ويوقع الحوادث ليؤمن السلامة منه.

ومع أن الحسّ الوقائي موجود لدى كل إنسان إلا بعضهم لا يكلف نفسه بالتفاعل مع حسِّه الداخلي ولا يعطي له ولو قليلًا من اهتمام للمؤشرات التي تنذر بوقوع خطر متغافلًا أو متشاغلًا ببعض اهتماماته تاركًا الأمر للصدف ، فيقع في المحذور على غِرَّة.

وإذا عرفنا أن السلامة المنزلية أمانٌ من شبح الخطر ، فهي تنبع من ذات فطنة ، فإنْ لم تكُنْ سلامة منازلنا محلّ اهتمامنا الشخصي ، فما البديل من غيابها غير الحوداث؟!

وهنا نود أنْ ننبه أن الحسّ الوقائي له ما يحفّزه ، وهي الفراسة من حيث استقراء مؤشرات وقوع الحوادث ، وهي عملية إدراك حسيٍّ يسميها بعضهم بالحاسة السادسة ؛ بوصفها حالةَ شعور في العقل الباطن تُنبىء بوجود خطر يتربص بالمنــزل توجب اليقظة والعمل على تلافيه.

مصادر الحسّ الوقائي

يستمد الحسّ الوقائي معينه من مصدرين:

١- الفطرة الإنسانية النــزّاعة إلى السلامة كونها مطلبًا وضرورة مُلحّة.

٢- الشعور الغريزي بالخوف مما يُوجب الحذر منه.

ومع أن الحسَّ الوقائي موجودٌ لدى الإنسان إلا أن بعضهم قد تغلب عليه غفلة ، ولا يعطي المؤشرات أدنى اهتمامه أو مجرد التفاتة يستوضح طبيعتها بواسطة حسِّه الوقائي.

فالسلامة تنطلق ابتداءً من ذات الإنسان عن طريق إحساسه وهو بمثابة محرك بحث ، فهو الذي يُوقظه لما يُؤمِّن سلامته في مكان إقامته ، منطلقًا من الحكمة أو المقولة الشائعة : "الوقاية خير من العلاج".

بمعنى أن هناك شقّين :

- **شقّ شعوري** : يخالج الإنسان يعكس حالة التوجس؛ خشية وقوع حدث يهدد سلامته أو سلامة أسرته، وهو الشّق الذي يعول عليه استباق الحوادث.
- **شقّ علاجي (إجرائي)** : يمثّله تفعيل منظومة السلامة ؛ لتعكس أماناً نفسيًّا ليحلّ شعور الأمان محلَّ شعور الخلجة والخيفة.

❋ ۞ ❋

كيف يمكن أنْ نُنمِّي الحسَّ الوقائي؟

كل إنسان يُهاجسه داخله ويستنفره شعوره إذا ما ظهر له ما يوحي بخطر حوله ، لكن بعضهم قد لا يتفاعل مع إحساسه بإرجاء المعالجة إلى أجل غير مسمى ، تاركًا الأمر للصُّدَف أو ردود الأفعال الموقوتة بوقتها، إلا أن إحساس التوجس يبقى مُلِحًّا يتردد في الداخل يرسل ومضات على شكل فلاشات ونبضات تُلحّ بقوة مستفزة ذاته. وتوحي: إن حولك ما يوجب التوقف عنده ، فاصرف له شيئًا من وقتك ، فإحساسُ المرء غالبًا لا يخيب، وفي الحديث : "**قلبُ المؤمنِ دليله**".

فالأمر غيرُ قابل للإرجاء والتجاهل ، فالمرأة التي تشم رائحة غاز في المطبخ فلا تُعره اهتمامها وتتجاهله ، ثم ما يلبث أن يتزايد حتى يصل إلى درجة تركيز يشب بسببها حريقٌ فتذهب هي ضحيته ، أو منْ يرى شرارات كهربائية فلا يُلقي لها بالًا ، أو منْ يشاهد آثار احتراق لأسلاك فلا يفطن له، فيحدث بسببها التماسات تصعق طفلًا أو تُحدث حريقًا تتلف أجهزة.

تلك ومثلها كثير من تجاهلات مؤداها كوارث منزلية كان لزامًا على منْ يلمسها أنْ يبادر إليها ويفزع لتداركها ؛ للقيام بإجراءات وهي غاية في البساطة ، كقفل أسطوانة الغاز أو غلق قابس الكهرباء ، وهنا نكون قد قطعنا الطريق على وقوع الحادث ، وكان ذلك بفعل الحسّ الوقائي ، أي أن تحسُّس الخطر دعانا لإبطاله والتدخّل فيه قبل وقوعه.

فلكي نُنمي الحسَّ الوقائي علينا:

- أن نجعل ولو قدرًا بسيطًا من التخمين وسوء الظن بعدم سلمية الأحداث .. وفي هذا يُقال: (سوء الظن من حُسْن الفِطَن).

فاستشعار الخطر وتوقّع مصائب الحوادث حالة طبيعية لدى أي إنسان، إلا أنها تختلف حدّتها من شخص لآخر، فمنْ استشعر الخطر واستعلم الألم الناتج عنه وما سيحلّ معه من مهالك ، سوف يستنفر نفسه ويتبرأ من غفلته ، ويستشعل إحساسه ؛ لقطع دابر الخوف وتحجيم وطأته ، وأنْ يضع حياته وشؤونها في قالبها الاعتباري قبل أنْ يطرأ طارئها وتصيبه فجيعتها.

لذلك فالإحساس يعني حالة تنبؤ ووقفة تأمل وبرهة تدبر قبل أن تزحزح من البيت أمنته وتحلّ به غمرات مؤسفة ومعاناة مؤلمة، يضحى بها مهزومًا، ووضعه مكلومًا، وحاله مغبونًا، وخاطرك مكسورًا بالندم محسورًا ، وشعور ضنك مكلوبًا .

❋ ۞ ❋

السلوك البشري عند وقوع الحوادث

يمارس الإنسانُ حياته ويتابع نشاطاته وتهنأ نفسه في سكون حال، يبيت هادئًا ويُمسي مستكينًا بحفظ الله وأمنه، وتظل بذلك مسيرة الحياة تسير سيرها الاعتيادي، يشعر بالأمان في رحابها ويزاول أعماله مطمئنًا بها؛ ليأوي إلى داره مستقرَّ النفس هادئَ البال، فإذا ما حدث متغيِّر مفاجئ لحادث طارئ ارتبك الحال وجاشَ الوضع، فيتحول الهدوءُ إلى إزعاج والسكونُ إلى اضطراب تطيش فيها التصرفات وتتخبط السلوكيات.

إن مجرد صيحة تنبيه بوقوع حريق أو سماع صرخة استغاثة لمن أحاطه خطرٌ أو أوشك أنْ يقع فيه يتملكه فورًا فزعٌ شديد مُفعم بنوبة أقرب إلى العشوائية بفعل الهلع الذي يستحوذ على النفوس إلا ما رحم ربك ، عندها يُشكّل حاله سلوكٌ غيرُ عاديٍّ للذين قادتهم ظروفهم إلى مواجهة فجائية مع الحدث .

حيث اختصتْ تلك الحالة بأهمية كبرى لدى المشتغلين ومنظمي السلامة الذين قاموا برصد وتحليل ردود الأفعال البشرية، إذ كشفت البحوث أن تصرفات منْ تورطوا في ظروف حوادث مفجعة كالحريق غالبًا ما تأتي عشوائية وتلقائية وعفوية ؛ خشية أنْ يطوله أذى أو تحيط به إصابة موجعة أو قاتلة أو لا يخرج سالماً من تلك الورطة.

وإزاء ما ينتابهم من خوف وما يتملّكهم من هلع الذي يدفعهم إلى القيام بسلوكيات متسرعة مرتبكة، معتقدين أنها تقضي على

الحريق في حين أنها تساعد على تفاقمه بدلًا من أنْ تحدّ منه أو تقضي عليه ، ويزداد الوضعُ حرجًا كلما تراءى له أنّ دائرته تضيق ويصعب السيطرة عليه، مما ينجم عنه زيادة التصرفات الطائشة وإحساس مروع بأنهم قاب قوسين أو أدنى من الهلاك، فترتفع صيحات الاستغاثة وطلب النجدة ، فيعُمّ المكان هياجٌ تنهار معه الأعصاب وتُنهك القوى وتحدث الإغماءات، ويتوالى الإجهاد وتخور القدرات، فينهار الضعاف ويتهاوى الصِّغار وكبار السن مغشيًّا عليهم، يغشاهم إحباط شديد لعدم إمكانية النجاة والخروج بسلام

وقد دلتْ الدراسات أيضًا أنه من النادر جدًا أن تجد منْ يضع في حسابه إمكانية التعرض يومًا لحادث مفجع أو موقف مأساوي أو تورط في ظروف مباغتة تسوؤه وتعصف بحياته وتزعزع استقراره ، ولم يدُرْ في خَلَد بعضهم أن بيته ليس في منجىً من مصائب الحوادث. وبما أنه لم يطرأ عليه طاريها ، ولم تُحدّثه نفسه بحدوثها، ولم يتوقع أنْ يجد نفسه أو أهل بيته في زاوية حرجة ؛ جراء حادث مفجع مفاجئ ، فلا يستطيع تقييد انفعالاته، فتراه يُقدم على تصرفات غريزية بدافع حب الذات.

والسلوكيات البشرية في الحوادث تشتد انفعالًا كلما اشتدّ الحال سوءًا خاصة أن ظروف الحوادث لا تقف عند حد إنْ هي اندلعت، بل تتغير إلى الأسوأ بين لحظة وأخرى، فالتصرف المناسب الذي يقوم به في الوهلة الأولى قد لا يكون مناسبًا بعد لحظات، وما يُعتبر موافقًا في هذا الموقف قد لا يكون موافقًا في موقف آخر؛

لاختلاف الظروف المكانية والزمانية، مما يجعل الوضع أكثرَ صعوبة ويزيده حرجًا.

وقد خرج الدارسون بتوصيات كان أهمها على الإطلاق ما يمكن تعميمه ليستوعبه الناس؛ ليستقر في الأذهان وتستيقنه الأنفس؛ تجنبًا للوقوع في مآزق الحوادث. **ويمكن تلخيص ذلك في أمرين:**

- **الأمر الأول:** ينبغي أن يعي كل فرد أن أي منزل ليس في منأى عن الحوادث، وأنه لا يوجد ضمان واق أو فائق القدرة مائة في المائة ضد الحوادث. وعلى الإنسان أنْ يضع في قرارة النفس هذه الحقيقة حتى إذا وقع في مأزقها يكون قد استعدّ لها نفسيًّا، حيث تنخفض وطأة الصدمة لتلبس تصرفاته شيئًا من رباطة الجأش في المواجهة بضبط الأعصاب؛ ليكبح جماح العشوائية؛ لتأتي على الأقل بالحد الأدنى من التصرفات؛ للحدِّ من الوقوع في الأسوأ.
- **الأمر الثاني:** التمرير للناس؛ للتحسب للحوادث وتعزيزها بمبادرات واقية تنبع من ذات الشخص راعي الأسرة وربة المنزل، فليس بمقدور أحد أن يطبعها في الأذهان دون أن تستيقنها الأنفس وتعيها الأفئدة من خلال حس وقائي ذاتي بتشجيع أفراد الأسرة للتعود على هذا النهج، والتنبؤ بالحوادث ليتعودوه سلوكًا وقائيًا في المنزل، ليصبح مع الزمن عادة سلوكية لدى الصغار والكبار تقيهم شر الحوادث بإذن الله.

الرعب الشديد قد يفضي إلى الموت

في بعض الأحيان يسيطر على بعضهم رعبٌ شديد وخوفٌ قوي كردٍّ فعل لشعور اليأس في النجاة، تفشل قواهم العقلية والجسدية والنفسية على المقاومة، وتنهار إرادتهم، تعجزهم عن القدرة على التصرف السليم والمقاومة ؛ فبينما هم في موقف الارتباك والخشية يتفاقم الحادث كأنْ يكون تسربُ غاز مصحوبًا بحريق، فتتسع الحالة وتشتد الواقعة، فيستولي على منْ يقع في ثوانٍ عليه الهلع فتصيبه حالةُ تشنج قد يقضي فيها.

ولذلك فإن في أولويات مقاومة الحوادث أنْ يحاول الإنسان كسْر حاجز الخوف أو تخفيف وطأته، وأنْ يهُبَّ مستعينًا بالله يستقوي به بتصرف غير طائش، يقنع نفسه أنه أمام ورطة لا مجالَ فيها للتردد، يتطلب جسارة في غير تهور، وإقدامًا في غير تخوف، وسرعة في غير تعجل غير محسوب؛ كي لا تستحوذ عليه رهبة تخور بها قواه، فهو أمام حدث إذا لم يُقاوم أو يُحدّ من امتداده فسوف تشتد ضراوته.

دعونا نستعرض بعض الأسئلة البديهية، وبدوره كلّ إنسان يطرحها على نفسه؛ ليعرف أين هو منها؛ ليجيب عليها بنعم أو لا:

أولاً: هل تعتقد جازمًا أن حوادث المنـــزل تشكل أولوية تستحق أنْ تعيرها قدرًا كافيًا من الحذر، وتصرف لها شيئًا من الاهتمام؟ أم تراها ثانوية يمكن إرجاؤها لوقت غير معلوم،

كمنْ يقول: لكل حادث حديث على اعتبار أن ذلك يشكل القلق والإزعاج، فلا داعيَ لاستباق الأحداث ووجع الرأس؟

الجواب: إذا كان الجواب بنعم على الشطر الأول، فهذا يعني أن الحذر عندك قوي، عندها لا بد أن فكرتَ في طريقة احتوائه واستباق وقوعه. أما إذا كان الجواب في الشطر الثاني نعم أيضًا، فهذا يعني أن الحذر عندك ضعيف، وكأنك تقول: إن الأمر ليس مقلقًا، ويجب ألاَّ نعطيه أكبر من حجمه، ويجب ألاَّ نكون متشائمين نجرُّ على أنفسنا الشؤم من حيث لا ندري.

سنتوقف قليًلا للتفكير: إذا وقع حادث سبَّب هلاك الأرواح ودمار ممتلكات أو خراب مقتنيات وتلف مكتسبات، هل تظن أن التطرق إليه واستباقه يجلب الشؤم أو مجرد ذكره يجلب النحس، فتتركه مخافة شؤمه، فإنْ خاب الظن وحدث ما حدث عندها ستبدو الظنون خائبة.

بعكس ذاك الذي فطن لملهمات نفسه وصرف لها اهتمامه واستبق الحدث وأخذ بأسباب منعه، فكان له وِجَاء من مصائبها. فأيّ المأخذين أحقّ بالأتباع؟

ثانيًا : هل سبق أنْ وقع في بيتك حادث مفاجئ بسيط استطعتَ التعامل معه بسهولة؟ فهل تعزو ذلك لمهارتك الفردية وسرعة استجابتك أم تعتبره جرسَ إنذار يحثك؛ لبحث أسباب وقوعه؛ لأن القادم ربما أسوأ لا تستطيع التعامل معه؟ وقد لا يسعفك الوقت للسيطرة عليه بمهارتك منفردة.

ثالثاً: هل سبق أنْ شاهدت حادثًا مأساويًّا أو سمعت عنه؟ تأثرتَ له تأسُّفًا؟ حدَّثت نفسك أنه ربما يقع في بيتك فتعمل على منعه قبل أن يحل أم تراك تأثرت تأثرًا وقتيًّا بفعل عاطفي يزول بزوال وقته وأثره؟ أم تراه درسًا يجب أنْ تستفيد منه وتعمل على تفادي أسبابه وتتعلم من مآسي غيرك؛ لئلا يحيطك بؤسه.

رابعًا: هل تنبىء أهل بيتك عما سمعتَ أو شاهدتَ أو قرأتَ عن حوادث وقعتْ في بيوت؛ ليأخذوا حذرهم ويفتحوا عيونهم؛ كي لا يقعوا فيما وقع فيه غيرهم؟ أم تأخذك عليهم عاطفة ولسان حالك يقول: لا أريد أنْ أفجعهم أو أسبِّب لهم كآبة؟

خامسًا: هل تدارستَ مع أهل بيتك إمكانية وقوع حوادث في البيت؛ لترسخ في نفوسهم معاني الحذر؟

سادسًا: هل تجد ضرورة للحديث مع عائلتك عن إمكانية وقوع حوادث؛ لتجهزهم للمواجهة، وتضع معهم طريقة للتعامل معه، وتوزّع أدوارًا؛ ليقوم كلٌّ بدوره فيه؛ لتلافي الارتباك والعشوائية من خلال تجربة بسيطة؛ ليعرف كلٌّ دوره، وتحديد نقطة تجمّع عند الشعور بوقوع حادث؛ لئلا يقع بعضهم بمأزق؟

سابعًا: هل تحثُّ أسرتك وخاصة ربة البيت أو معاونيها على التخلص من الزائد والمخلفات أولاً بأول، وتجفيف الأرضيات ومراقبة أدوات الطبخ وخاصة أسطوانات الغاز ومقابس ومآخذ الكهرباء والمواد المشتعلة والآلات الحادة وألعاب

الأطفال وما على شاكلتها، وعدم تمديد الأسلاك تحت الفراش والدواليب والأَسِرَّة، وعدم إشغال الممرات بمتروكات تعيق التحرك السريع في حالة الحوادث؟

ثامنًا: هل حدَّثتَ نفسك أن الحوادث المفاجئة مفجعة حتى وإنْ كانت صغيرة؟ وأن الإهمال والغفلة أو الانشغال عنها واستبطاء وقوعها عوامل تعجِّل بحدوثها بل هي وقودها؟

تاسعًا: هل خامرك إمكانية وقوع حادث حريق بغتة وأنت غير مستعد له بأدوات وأجهزة مقاومة؟ وهل استحضرتَ نتائجه؟

عاشرًا: هل فكرتَ في تحديد نقاط الخطر في المنزل والبؤر الساخنة المرشحة لوقوع حوادث مؤلمة أو هل فكرتَ في طرق منعها ومكافحتها ؟

حادي عشر: هل ترى أن السلامة ذات قيمة تستحق العناية ؟

ثاني عشر: هل تستشعر وقوع الحوادث؟ وهل تلاحظ مؤشرات فنقوم بمعالجتها؟

ثالث عشر: هل فكرتَ في جلب طفاية حريق؟ وإنْ جلبتها هل تعرض طريقة استعمالها في الوقت المناسب أم لم تفكر فيها أصلاً؟ فاسأل نفسك الآن: ما المانع؟ هل أنت في حلٍّ من حريق؟ وهل السكوت عليه يعني أن الحريق ساكت عنك؟

رابع عشر: هل حصل أنْ تبادر إلى ذهنك أن منزلك مُعرَّض لحوادث؟ ماذا أعددت لها لوقاية أطفالك وأهل بيتك؛ تبعًا لقاعدة: الوقاية خير من العلاج. ومرادفها: درهم وقاية خير من قنطار علاج؟

فليستفق الغافي، ويتذكر الناسي أن سلامة المنـــزل ذات قيمة لا تُقدر بثمن، فاسترعِ لنفسك ثلاثة ؛ لتتلافى ثلاثة:

- استدع سعتك لتتلافى ضيقك.
- استدع سلامتك لتتلافى خطرك.
- استدع سعادتك لتتلافى شقاءك.



هل يُغني الحذر من قدر؟

الإيمان بالقدر صفة من كمال التوحيد، إذا قدَّر الله أمرًا كان مفعولاً لا محالة من وقوعه، ونحن عندما نحذِّر من حوادث المنازل ونؤكِّد على الوقاية منها للحيلولة دون وقوعها، فلا يعني أنه سيمنع المقسوم المقدَّر من الوقوع، لكن نعود ونذكِّر أن الإسلام أمر باتخاذ تدابير الحماية وأوصى بالمحافظة على النفس والمال بل عُدّتْ من مقاصد الدِّين الحنيف.

فالحديث المشهور عن رسول الهدى: "**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...**".

فالرعاية تشمل البيت وتعهّده بما يلزم لحمايته، وعدم تركه في مهبّ الريح دون رعاية والعناية بسلامته؛ ليكون –بإذن الله– في مأمن عما يجلب الشقاء والتعاسة، فإنْ قدِّر أن حصل حادث بعد أن أحيط بالأسباب الواقية وعمل تدابيرها فذاك أمر الله وما شاء فعل، فالإنسان مأمور بالسعي وعمل ما في وسعه عمله قدر استطاعته.

إذن: الحذر مطلوب بشروطه، وما عدا ذلك بيد الله المدبِّر لشؤون عباده، فيكون الإنسانُ قد عمل الذي عليه والباقي على الله. فالحذر ينفع لكنه لا يمنع، وهنا يأتي الحذر كواجب كما أوصى الله عباده بقوله تعالى: ﴿ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾[1]. أي: احتاطوا. وكما قال رسول الله ﷺ: "**اعقلها وتوكل**". فالأخذ بالأسباب لا ينافي معنى التوكُّل.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧١.

وهذا رجل يسأل رسول الله ﷺ : يا رسول الله، أرأيتَ أدوية نتداوى بها ورُقىً نسترقي بها أتردُّ من قدر الله شيئًا؟ قال عليه الصلاة والسلام: "**هي من قدر الله**".

والإيمان بقضاء الله وقدره من تمام الإيمان، والحرص واجب وهو بذل الجهد واستفراغ الوسْع وعدم التماهل والتواني فيما يجب عمله، فحرص الإنسان على ما ينفعه من قبيل المندوب إليه، والحرص لا ينفع إلا بالاستعانة عليه، فالتقصير ينافي معنى الحرص.

ومصداق ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : ((**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**)). وشاهدنا هنا تتمة الحديث: ((**وَاحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَلا تَعْجَزْ، فَإِنْ غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ : قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ صَنَعَ، وَإِيَّاكَ وَلَوْ؛ فَإِنَّ اللَّوَّ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**)).

قضت حكمة الله أنْ يكون هناك حوادث قدرية، ليس في وُسْع الإنسان منعها أو دفعها عنه، وهناك حوادث جعل الله من الأسباب ما يمكن دفعها بها أو تفادي وقوعها.

فالأولى : من قبيل الحوادث الكبرى كالأمطار الغزيرة والزلازل والعواصف المدمرة والبراكين وما في حكمها.

والثانية : تلك الحوادث الناشئة عن التعاملات الإنسانية والنشاطات البشرية كحوادث الطرق والحرائق وحوادث المنازل وأماكن العمل وما يطرق المسامع وتتناوله وسائل الإعلام وتتداوله المجالس من حوادث اعتدنا على وقوعها يوميًّا بفعل الإنسان

وتداولاته، فهذه حوادث جعل اللهُ سبل الوقاية منها مخرجًا؛ لمنع وقوعها أو مدافعتها بإجراءات حماية ووسائل مكافحة؛ لتلافي وقوعها أو الحدّ من وطأتها، فالإنسان أمامها ليس مخيَّرًا أن يفعل أسباب منعها أو لا يفعل وقوعها قدر، وعدم وقوعها أيضًا قدر كدفع المرض بالتداوي، وعلاج أسباب العلة بأسباب الدواء، وكلٌّ بعلم الله وقدره.

وكما جاء في الأثر عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حين قال: نهرب من قدر الله إلى قدر الله. فالإنسان بين الأمرين تحت قدر الله ومشيئته، فالحدث قدر ومنعه بالأسباب قدر.

تذكيرات تحفيزية:

يقول الله تعالى في محكم كتابه : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1]. ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[2]

فمن قبيل أن الإنسان مُعرَّض للنسيان أو قد لا يكترث ببعض الالتفاتات أو ما يعتريه من غفلة وما يتلبث به من إهمال مثل هذه من سمات إنسانية حثَّ تعالى على التذكير بها؛ لتنبيه الغافل وإيقاظ الناسي، وليعتبر اللاهي ويتذكر المشغول؛ لينهض هذا وذاك

---

(1) سورة الذاريات، الآية : ٥٥.

(2) سورة ق، الآية : ٣٧.

مُستعلمًا ومُستنفضًا لما ينفعه ويذكي حياته ويزكي معاشه ويحفظ كيانه.

هنا سنورد أقوالاً وسنسرد عبارات ناضجة وحِكَمًا هادئة وعِبرًا مضيئة ومواعظ مرشدة موزونة، قالها أهل الدراية وصاغها ذوو الخبرة، ونسقها أصحاب تجربة بشؤون السلامة؛ لتعيها الأفئدة وتستوعبها العقول.

فالذكرى ناقوس، يدق رنينه عالم الغفوة، ملهمة للقلب، شاحذة للنفس، محرِّكة الوجدان، تستقبلها المسامع، وتطرق لها الأذهان، تنشط الذاكرة وتسترعي الانتباه.

الذكرى فحواها عِبر، وجوهرها حِكَم، ومضمونها عظات، منطوقها تلميح، وأحيانًا تصريح، صداها فطن لمن تفطَّن، أو تحذير من خطر في مكامن الخطر.

فقالوا فيما قالوا، وإليك غيضًا من فيض مما قالوا:

- أسلم تسلم، فمن ابتغى السلامة أمن من غوائل الخطر.
- من الأدعية: اللهم إني أسألك العافية في الدِّين والدنيا والآخرة، والعافية هنا: السلامة.
- السلامة أمانة. أي: أمانة في عنق رب الأسرة.
- السلامة لباس العوافي من الخوافي، فالبسها ولا تخلعها، فخلعها يعني عدم الوفاء بها.
- السلامة مطية، فلكي تمتطيها هيِّئها بفاعلية.
- السلامة أمان من شرور المحدثات.
- أمِّن منـــزلك؛ لتأمن نزلك.

- احذر تسلم، أي: عن مغبة الحوادث فإنها مهلكة.
- السلامة سكينة، فمنْ سكن في مأمن أمن في مكمن.
- إذا سلمتَ أمنتَ، وإن أمنتَ بتَّ قرير العين ساكن القلب.
- أغلق منافذ الأذى وسدّ ثغور الضرر واردم مسالك القلق، تعشْ في منـــزلك بسلام.
- انشد السلامة تُوهب لك الحياة –بإذن الله– معافى من الحوادث وآفاتها.
- اتق أربعًا لتنعم بأربعة: الغفلة باليقظة – الخطر بالأمان – الإهمال بالحذر – إحساس الخطر لدرء الخطر.
- السلامة غُنْم والحوادث غُرْم، فاغتنمها قبل أنْ ينـــزل بساحتك غُرمها.
- الوقاية حصانة.
- ملحوظ الخطر نذير حدث.
- الإهمال قربة من دوائر الألم.
- السلامة سُلَّم نجاة، فأقم سُلَّمك على قوائم قوية.
- السلامة نعمة، فاحفظ النعمة قبل أن تنقلب نقمة.
- السلامة بصيرة.
- حاسب قبل أنْ تُحاسب. أي: قبل أن تحاسب نفسك، فحساب النفس عسير ووقْع ألمه غير يسير.
- سلامتك بيدك، فلا تفرط فيها.
- من حذر سلم ، ومن لم يحذر ندم.
- من عمل وتوكَّل فاز ، ومن عَدِم العمل وتواكل خاب.

تلك تذكيرات تقف بك وقفة تأمل أو برهة تدبُّر، تقي بها بيتك غمرة مؤسفة ومعاناة مؤلمة.

تصور لحظة الحدث! كيف سيكون حالك؟ تفاعل مع تصوِّرك قبل أنْ تضحى مأزومًا، ووضعك مكلوم، وحالك مغبون، وخاطرك مكسور، وبالندم محسور.

إذن: ساكن السلامة تسكنك، وهاجسها تهاجسك، والبس ثوبها يلبسك، اسلكها تسلكك، فالحياة هاجسها السلامة والخطر هاجس الحسرة والندامة.

حارسها تحرسك، تكُنْ لك حارسًا أمينًا وبعد الله ضامنًا، فهي حارس حياتك ومأمن مضجعك وضامن مالك وحليف معاشك وطارد روعك، فهي لك ما دمتَ لها ومعك ما كنتَ معها، إنْ تهجرها تهجرك وإنْ وصلتها وصلتك وإنْ قطعتها قطعتك.

كل ذلك وغيره بعون الله لك معينٌ وواقٍ مبين والتوكل عليه وتوفيقه وغايته.

لنتذكر:

- أن حوادث الحريق يمكن تلافيها بقليل من الحذر، وشيء من الانتباه.
- الحريق يبدأ بسيطًا وباستطاعتنا السيطرة عليه إنْ تعلمنا الطرق السليمة التعامل معه.
- يكفي لإطفاء الحريق قدح من الماء عند اشتعاله من لحظته الأولى، وإن لم يقدر عليه فسوف يتضاعف، ففي لحظته الثانية

سوف يحتاج إلى إناء (سطل) من الماء، وفي اللحظة الثالثة يحتاج إلى كمية من الماء توازي برميلًا.

- بعدها يستوحش ولا يكفي له مقدار طن وجهود مضنية للقضاء عليه، والاستنتاج العام لهذا الترتيب الكمي هو تأكيد أن مداهمة الحريق ومسارعته في لحظته الأولى أمر في غاية الأهمية قبل أن تتصاعد شعلته، عندها يتطلب جهودًا ووسائل مضاعفة.
- الحريق نتاج تفاعل عناصره الأساسية:
  - المادة المحترقة – حرارة – أكسجين.
  - يتم إطفاؤه بعزل إحدى تلك العناصر. إما بالتبريد بمادة مناسبة لخفض درجة حرارته، أو إبعاد المادة موضع الحريق، أو حجب الأكسجين عنه.
- الحريق بطبعه مفجع، الخوف أو التردد في اقتحامه في الوقت المناسب يؤدي إلى ارتباك، ويفضي إلى تصرفات عشوائية قد تصيب أحيانًا لكنها في الغالب تخيب فتزداد النار التهابًا ، فهي لا تعدو أنْ تكون تعاملاً مرتبكًا ينتج عنها حوادث جانبية أشد إيلامًا من الحريق نفسه.
- أسباب الحريق تترعرع حال الإهمال والغفلة وسوء الترتيب والنظافة.
- التصرفات غير المنتظمة أو المرتجلة لا تساعد على قمعه مما يسمح له بالاتساع.
- إذا كان الخطر نذير شؤم، فإن السلامة مبشر سعد.
- إذا كان الندم ألماً ، فالفأل أمل.

- إذا كان الخطر مؤشرَ هدم ، فإن السلامة علامة بناء.

الحادث إنْ وقع ترتَّب عليه مكاره متنوعة ومآسٍ في الأنفس وإصابات في الأبدان وإعاقة الحركة وخسران في الأموال وفقْد أهل وخلان ، ومنْ لم يُصبْ بأيٍّ من تلك وكتب اللهُ له النجاة فقد يصيبه الضرر النفسي؛ جراء هول الحادثة وفقدان الأحبة أو إصابتهم، ناهيك عن الخسائر المادية. والأمَرُّ من ذلك حين تقع الحوادث في المنـــزل في وقت يتزامن مع وجود بعضهم كالأبناء والصغار والعجزة بداخله، بينما خارجه بعضهم كالأب والأم والإخوان الكبار. فعندما يصل اليهم نبأ وقوع حادث في المنـــزل تصور كم من الهلع سيتولد خصوصًا الأب والأم الذين تركوا أطفالهم وخرجوا للنـــزهة أو لقضاء شأن من شئونهم !

إن مجرد الخبر سيكون كالصاعقة على مُتلقيه.

هكذا الحوادث لا تعطف على صغير ولا تحابي كبيرًا ، الكل أمام فداحتها سواء ، تُكْلَم بها النفوس وتتحبس لها الأنفاس، لا يتجاوزها إلا منْ حسب ضدها.

❋ ۞ ❋

عبارات متقابلة

- إذا كان الخطر نذير شؤم .. فالسلامة عرض سعد.
- إذا كان الخطر معولَ هدم .. فالسلامة أداة بناء.
- إذا كان الخطر شرًّا عميمًا .. فإن السلام خيرٌ مقيم.
- إذا كان الخطر وعيد بشر .. فإن السلامة وعدٌ بخير.
- إذا كان الخطر عدو المنـــزل .. فالسلامة صديق.
- إذا فارقتْ السلامة المنـــزل عشعش في أرجائه الخطر.
- إذا كان الخطر عاصفة .. فالسلامة نسيم .
- إذا كان الخطر مرضَ المنـــزل فالسلامة طِبُّه.
- إذا كان الخطر يجلب البؤسَ .. فالسلامة مدحضة له.

فمنْ استسهل معاني المتعارضات ووعى فحوى المتقابلات أدرك أن السلامة توأم الحياة ، تطيب بها وتجلب لها الهناء ، ويهدأ السكون ، شجرة وارفة الظلال، ظلالها أمان ومكتسب مقام، تذر سعادة وسلام.

❋ ✿ ❋

الحوادث غيلة المنازل

إذا كانت الغيلة تعني التربص بالضحية ومباغتته بمكروه على حين غرَّة منه، فالحوادث هي الأخرى تحدث بغتةً في المنازل ، حيث تحمل صفة الغيلة إذا لم يحسب حسابها ويستبق وقوعها باحتياطات ضد محذورها، فهي مهيأة للغيلة؛ لتغتال البيتَ وأهله وتصبّ عليهم أعنف ما في طبعها، في حين اقتضت حكمة الخالق أن أمَّن خلقه من خوف اتبعوا سبل السلام .

وذلك يعني أن الإنسان يسير مسار الحياة الآمنة من مشوبات الرعب ورهاب الحوادث، فلا يكون آمنًا منْ استحوذ عليه الخوف، ولا يكون في مأمن منْ أحاطه رعبٌ وبادرته ريبةٌ في محيطه ومقر سكنه ومحل إقامته، فأرشدنا بالذكر الحكيم، وأرسل الهادي البشير؛ ليعلمنا كيف نعيش بأمان ونسير في وفاق مع مكونات الحياة، رسم معالم وقعَّد قواعد وقنَّن ضوابط تضبط النشاطات ، وبيَّن طريق الأمان وطريق الخطر، وأرشد إلى سُلَّم الحياة وعكسها.

فمنْ سلك السبيل القويم أقام على السوية السالمة ، ومن ْخرج عنها قام ما ينافيها ، حيث أبانت الشريعة موارد الخطر فأرشدت إلى طريق الوقاية منه ؛ لتستقيم حياةُ الناس على أساس منطقها السوي.

فمنْ ذا الذي لا يرنو إلى سلم العيش وقوام المقام وهدوء الحال، إلا ذلك الذي لا يعطي السلامة حقّها من الرعاية ولا يُوليها ما

يوجب بقاءه ما شاء الله له البقاء، يصونها من المخاطر ولا يعرِّضها لمهالك تزعزع بقاءه وتزلزل حياته. فمنْ لم يرعَ ذلك ولم يكفلها ويحيطها بعنايته، فهو منْ يعرِّض نفسه وما ملك إلى ما يضطرب به حاله ، ولم يُعد عدة السلامة من مهددات الأحداث ، فلا يقيم وزنًا لها فتبغته بغتتها ، وكأنها غيلة. وما أوقع الغيلة إذا غيلتْ على حين غِرَّة ! وما أوجعها إذا ضربت ضربتها وصاحبها عنها غافل تدخل البيت وأهله في أزمه جامحة!

الأزمة الأسرية :

الحوادث آلامها قاسية ونتائجها فادحة ووقعها ثقيلٌ على الأسرة وما تخلفه من تأثيرات أليمة مخرجها بئيس، فهي إنْ لم تصب في مقتل أصابت في موجع أو دون ذلك شيئًا قليلاً ، وإنْ لم تصب في موجع أصابت خرابًا ، وإنْ يكُنْ خرابًا فدمار للمنـــزل وأسرته ومحتوياته كلي أو موضعي، أدنى ما فيها تلفٌ لمقتنيات وأجهزة وأدوات ، وما تهدر من أموال وممتلكات ، وما تجرُّه من فجيعة تبهت النفس، وتكلأ بها الأرواح مُحدثة أزمة نفسية. متغير جديد مباغت داهم البيت، أحال أمنه خوفًا، وحوَّل أمانه فزعًا، وأوغل فيه رعبًا.

فاجعة تداعتْ لها الكوامن المنطوية على خطر، ما كانت على البال، حولت المنـــزل من قرار إلى زعزعة، ساد الخوف وارتجفتْ الفرائس، أعصاب منهارة وفجيعة مبهتة، مُسبِّبة أزمة نفسية لن تُمحى بسهولة أو تُنسى في عجالة، ستظل ذكراها في النفس تعشعش في الروح أسىً وحسرةً على ما فات وأصبح أثرًا بعد عين، ماثلة الأحزان في أرشيف الذاكرة، قابعة في المخيلة لحظةَ وقوع الحدث وآلام نتائجه، لا تفارقهم وقائعه ، مسبِّبة أزمة

أسرية لن تفارق أهلها مشاهدها، يرتسم في الأذهان سيناريو المأساة، لا سيما إذا كانت الفاجعة في الأرواح.

تلك أزمة الأزمات تقفز في الأذهان كلما حانت ذكراها استيقظ الأسى، تجيش له النفس ويتداعى معها الحزن، وإذا كانت الأزمات يمكن علاجها إلا الأزمة النفسية فعلاجها بطيءٌ حيث يظل أنينها يصدح في داخل الإنسان كلما طافتْ به الذكرى وتذكّر المأساة التي استخبأت بين الضلوع والحواشي، يصعب تشخيصها، أو وصف حالها ومرّ ذكراها إلا منْ ذاق علقم مذاقها واصطلى بحرِّ حُرقتها، وهنا سوف أنقلكم إلى شخص عايش الأزمة فعلاً وتلظى بها تجربة ؛ جراء حريق اختنق بدخانه ثلاثة من أبنائه ، كان كلما تذكر أو شاهد صبية في عمرهم تذرف عيناه بالدموع.

قال : لن أنسى تلك الليلة البئيسة الذكرى التي فقدتُ بها فلذات كبدي ، ما زالتْ شواهدها كما لو كانت فيلمًا سينمائيًّا أستعرض أحداثه على شاشة مخيلتي، كأنها واقعة الآن، فأنتفض وتهطل دموعي من حيث لا أشعر، وستبقى أحزانها ماثلةً داخلي لا أرى أني سأبرأ منها. إنها مأساة المآسي أنْ يموت أبناؤك أمام ناظريك! فكيف لك أن تنسى؟! وكيف لك أن تتجاوز؟! وكيف لا تتحوصل في جعبتك أزمة؟

وأردف قائلاً : كنت أعتقد أن الزمنَ كفيلٌ بنسيانها ولكنها تتجدد وتصيبني كآبةٌ ويلحقني ضجرٌ وينتابني الحزن، أسأل الله ألاّ يرزأ بها أحدًا من عباده؛ لأنها لا ترحم إنسانًا ولا تراعي مكلومًا ، ويظل الإنسان يقاسي مقاسين : مقاساة الحدث ، ومقاساة ذكراه وآلامه.

قلت له مقاطعًا: هل عرفت سبب الحادث؟ وأنا أريد بهذا السؤال أن أؤكد له أنه الجزء الرئيسي في الأزمة.

قال: نعم. لكن بعد فوات الأوان.

قلت: كيف؟

قال: الإهمال. قاتل الله الإهمال وقطع أوصاله. ثم مضى يسرد قصته مع أزمته.

قال: كانت غرفة الأبناء ضيقة شيئًا ما، محيطها اثنا عشر مترًا، أي أضلاعها ٣×٤، مفروشة بسجاد تتدلى منه أهدابٌ من خيوط مفتولة ، بها ثلاث أسرَّة بدواليب ، وطاولات عند كل سرير، وبها جهاز تليفزيون وجهاز بلاي ستيشن، ودفاية كهربائية كلها محملة على محول واحد متعدد المقابس، ويظهر أنه تحمل أكثر من قوة طاقته ، فازدادت حرارته فانفجر مرسلاً شرارة علقت بأحد الخيوط فأشعلت النار، فظلت تحترق خلف الدواليب التي كانت مغطية على الأفياش، ويتصاعد دخانها في حين كان الأبناء قد خلدوا إلى النوم.

وكان باب غرفتهم مُغلقًا ، وفجأة خرجت أم الأولاد إلى الصالة فاشتمت رائحة حريق ودخان يتسرب من تحت الباب، فصاحت صيحةً مرتعدة وقد أدركت الصوت فأتيت مسرعًا! فتحتُ الباب فاندلع الدخان بكثافة ولم أستطع الدخول ؛ لأن النار حالتْ دون دخولي، فهرعت إلى فصل قاطع الكهرباء ، فازداد الأمرُ سوءًا بوجود الظلمة، وحاولتُ إحضار إناء (سطل) ماء لإطفاء النار كل ذلك والأبناء داخل الغرفة، فمددتُ خرطومًا (ليًّا) من الصنبور، وكنتُ أكافح النار، وكلما صببتُ الماء ازداد الدخان وضايقني في عيني عندها شعرتُ بالإعياء.

سارعت أم العيال إلى الدخول مجازفة بنفسها؛ لتفقُّد أبنائها فوجدتهم خامدين لا حراكَ فيهم ، وظلت تصيح تنبه أحدهم تلو الآخر، عندها انهارتْ وسط الدخان مصروعةً باكية ، سارعت إليهم لأجدهم قد فارقوا الحياة مختنقين.

كان الرجل متلعثمًا، ممزوجًا صوته بحشرجة من لوعة الألم، حيث أشفقتْ عليه، لكنني أجزم أن الإهمال كان طاغيًا على تلك الغرفة، فإنْ كان الأبناء لا يدركون مغبة الحوادث ولم يقدِّروا سوءها فما بال الأب يفوته مثل ذلك وأمامه مؤشراته واضحة من اكتظاظ الغرفة ومأخذ كهربائي متعدد الأفياش ومقابس خلف الدواليب الخشب وسجاد بخيوط واهية وعدم وجود طفاية حريق؟!

ثم زاد الطين بلة فَصْل الكهرباء ، فانحجبت الرؤية، مما أدى به إلى أنْ تخبط في الظلمة وتعثرت المقاومة، تفاقم معها الحادث. صحيح ما كان أمامه غير ذلك التصرف لكنه كان تصرفًا أسوأ مما لو لم يفعله، وكان الأجدر به أنْ يلحق آخر رمق في الأبناء ؛ ليساعدهم على الخروج.

وعلى وجه العموم فحوادثُ الحريق لها ظروفٌ لا يستطيع أحدٌ أن يتكهَّن بها، والذي أقرؤه من هذا الحادث أن وفاتهم كانت قبل اكتشافه للحريق بفعل غاز أول أوكسيد الكربون الناتج عن السجاد، وهو غاز كاتم ببطء ، يتغلغل إلى الأنفاس ويقتل صاحبه على فراشه.

شاهدنا في هذا الحادث أن السلامة لن تنال بغير عهدة ولا حرص أو رقابة، هاتيك ثلاثة تعطيك ثلاثة: وقاية وحماية فسلامة، تحيل عنك ندامة ، وتطيب بها المقامة.

دارك دارك، عليها مدارك، فهي مدار سكنك ومأوى راحتك وخلو بالك، احفظ لها أمانها وركِّز له عوامل سلامتها.

احفظ عليك نفسك وزوجك وعيالك، فلا تكِلهُم لمهمة لا تترنح بهم غفلة، توبقهم حوادثها على حين غفلة، بيتك نعمة من نِعَم الله عليك، احفظ النعمة واشكره عليها، وقل: اللهم احفظها من الزوال والله يقول: ﴿ **لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾[1] من موجبات شكر نعمة البيت ورعايته وتعهده بتزويده بما يحفظه وتجنيبه ما يعرِّضه لخطر ونردد دائمًا أحد خيارين.

فَإِمَّا أَمَانٌ يُعِمُّ سَلَامْ   وَإِمَّا خَطَرٌ يُورِثُ أَلَمْ

وإذا كانت العافيةُ نعمةً فالسلامةُ ركنها ، والحفاظ عليها واجب والحثّ على القيام بها حق والتبصّر فيها لازم. احفظ بيتك وعيالك من نِقَم الحوادث فهم رأسُ مالك وهم امتدادك وعُدّتُك في الحياة، من أجلهم تكدح، ومن أجلهم تكدّ وتتعب، سلامتُك من سلامتهم، وسلامتُهم سلامتك، فلا يهن هوانك أو تخفت همتك لتحققَ أهدافك، والسلامة من أهم أهدافك؛ لتهنأ في بيت سليم من آهات الحوادث وزفرات الندم وأنين الآلام.

❊ ۞ ❊

---

(١) سورة إبراهيم، الآية : ٧.

حوادث منـــزلية كنتُ شاهدًا عليها

حوادث منـــزلية باشرت حوادثها :

١ – كانت هناك أسرة مكوَّنة من أب وأم وثلاثة أطفال متقاربة أعمارهم بين سنتين وخمس سنوات يسكنون في شقة في وسط الرياض، مع بداية ساعات الدوام الأولى خرج الرجل إلى عمله وفي ساعة الضحى خرجت الأم لزيارة جارتها في الشقة الملاصقة لها مباشرة ، تاركةً صغارها في البيت لوحدهم على أمل أنْ تقضي فترة مؤانسة مع جارتها، فقفلت عليهم باب الشقة من الخارج، تحلّق الصغارُ في الصالة لمشاهدة فيلم كرتوني ، تحرك أحدهم إلى المطبخ وأخذ يلعب بأعواد الثقاب (الكبريت) الذي استهوتْه شعلته، وبعبث طفولي جاء إلى إخوانه يدعوهم لمشاركته اللعبة .

كانت الصالة مفروشة بفرشة مطاطية وعلى حافة محيطها تكايات إسفنجية (طراحة) مغطاة بقماش خفيف شفاف، قام يستعرض أمام إخوته لعبته التي استهوتْه فأشعل عود الثقاب (الكبريت) بالقرب من طرف الفراش فلحقتْ الشعلة بالقماش، وسرعان ما سرت فيه، تضاحك الصغار لهوًا ، وبعد ثوانٍ التهمتْ النارُ الإسفنج وانتقلت إلى الفرش، تأججتْ النار! تصايح الصغار فكان أنْ هربوا إلى الغرفة المجاورة، حيث تصاعدت ألسنة اللهب وعمّ الحريقُ الشقة، فكانوا كلما شعروا بحرارة الحريق يلوذون في بعضهم .

وكان من لطف الله أن انتقلوا إلى الحمَّام الذي لا أثاثَ فيه إلا أن جوه امتلأ بالدخان الكثيف ، تجمعوا في البانيو، أحدهم ألهمه الله أن يفتح الدش فكان يرش عليهم إلا أنهم متأثرون بالأدخنة الخانقة المتصاعدة من الفرش والإسفنج والذي بدأ يخرج من شقوق فتحات النوافذ والأبواب إلى خارج الشقة ، حيث شعرت بذلك الأم بإحساس الأمومة، فصاحت في جارتها قائلة: أشمّ رائحة دخان، قامت لتكتشف، هذا دخان من شقتي! انتابها فزع شديد على أولادها، فهرعت لتفتح الشقة فلم تتمكن؛ لشدة اشتعال النار من الداخل، جارتها سارعت إلى التليفون لتبلغ الدوريات التي بدورها أبلغت الدفاع المدني.

عندما تلقينا البلاغ وعنوان المكان هرعت فرقة الإطفاء إلى مكان الحادث ، ولاحظ معي أن الموقع كان يبعد بما لا يقلّ عن خمسة أو ستة كيلو مترات من مقر الانتقال ، لكن صادف ذلك بداية حركة دوام الموظفين وازدحام الطرق ، إلا أن الفرقة –وأنا على رأسها؛ باعتباري ضابطًا مناوبًا ذلك اليوم– تفانت في سبيل الوصول بأقصى ما يمكن من سرعة ؛ مستشعرين قيمة اللحظة مهما كانت زهيدة، فهي ذات قيمة عالية في إنقاذ الأرواح.

كانت الشقة في الدور الثاني ، صعدنا إليها عبر درج العمارة ، كان الدخانُ كثيفًا وخانقًا ، والأم تحاول فتح الباب وقد استولى عليها الهلع؛ خوفًا على أبنائها ، فور وصولنا جرى التعامل مع الحادث بفتح الباب كسْرًا ، حيث اندفع دخانٌ بكثافة عالية يصعب

اختراقه ، إلا أن مهارة الرجال كانت حاضرة وتجاربهم مع الحوادث كانت ماثلة ، لا نريد الدخول في التكتيكات.

المهم في الأمر أنه تم الوصول إلى مكان الأطفال وانتشالهم وسط ظلمة شديدة وإخراجهم وهم تحت تأثير الإعياء ، تم نقلهم بسيارة الإسعاف إلى المستشفى، أحدهم يعاني من ضيق تنفس قضى نحبه قبل الوصول إلى المستشفى، والثاني أُصيب بحروق بالغة قضى نحبه عند الوصول إلى باب الطوارىء، والثالث لم يلبث إلا دقائق حتى لحق بأخويه.

تصوَّر معي كيف سيكون أثرُ الصدمة على الوالدة التي شهدت الحادث وما تأثيره على الوالد الذي وصل إلى المستشفى وقد سيطرت عليه حالة هيستيرية عندما علم بوفاة أبنائه؟!

شاهدنا: أليستْ الأم التي تركت عيالها وخرجت للوناسة هي المسؤولة أولاً وأخيرًا ؟ فماذا صنعت لها الوناسة عند الجارة ولم يكن في حسبانها جهلاً أو تجاهلاً أنْ يحدث ما حدث لأبنائها؟!

٢ – **حادثة أخرى** : كان رجلٌ يعمل في عمل ليلي، فبعد أنْ أنهى نوبة عمله جاء إلى بيته مُتعبًا ، وكان مُدخنًا ، عندما أوى إلى سريره أشعل سيجارة ورشف رشفةً منها ثم وضعها على طفاية السجائر على طاولة السرير، أخذتْه غفوةٌ ظلتْ السيجارة مشتعلةً بينما غطَّ في النوم، عندما انقلب جاءت يده على الطفاية ، حيث سقطت على السجاد الكثيف، فغارت فيه فتأثر السجاد بنار السيجارة، وظل يحترق ببطء، وشيئًا فشيئًا يزداد الاحتراق ويتوالى الدخان الذي يستنشقه صاحبنا، وتزداد النار حتى وصلت إلى

سرير الرجل الذي احترق في سريره، كلٌّ ذلك كان في ساعة متأخرة من الليل.

شعر أحد الأبناء بالحريق، سارع إلى والده فلم يستطع مقاومة النار، فسارع إلى إبلاغ الدفاع المدني. طبعًا انتقلت الفرقة إلى مكان الحادث وتعاملت مع الحريق لكن الرجل كان قد فارق الحياة محترقًا.

٣ - **حادثة ثالثة :** تلك أسرة خرجت للنـــزهة في استراحة، وكان فيها مسبح في زاوية بعيدة عن التجمع العائلي، وبعد مرور وقت افتقدت الأم أحدَ الأطفال الذي كان عمره لا يتجاوز سبع سنين، فقامت تسأل عنه إخوانه فلم تجد له أثرًا ، صاحت: أين فلان؟ ضجَّ المكان يبحثون عنه، كان الأب قد اتجه صوب المسبح فهاله ما رأى ، ابنه طافٍ على سطح الماء ، وكان الأب لا يجيد السباحة فاستنجد بأحد أقاربه الذي ارتمى في الماء ، فوجد الولد قد فارق الحياة ، وهذا يعني أن الغرق قد مضى عليه وقتٌ غيرُ قصير وهم لاهون عنه بتسليات ومسامرة بعضهم بعضًا ، فانقلبت النـــزهة إلى غمة.

٤ - **حادثة رابعة :** أسرة مكونة من زوج وزوجة ، رزقهم الله بولد، يقطنون في شقة في الدور الثاني بعمارة ، كانت الأم منهمكة في المطبخ والولد يحبو في الصالة ، قادته حبوته إلى الحمام الذي فيه غسالة الملابس، وبالقرب منها علبة غسيل (كلوركس) غير محكمة الغلق ، تناولها الطفل وشرب منها ، صاح صيحة ، انتبهت الأم لكن بعد أن التهم ما شربه فكانت كافية لوفاته.

٥ – **حادثة خامسة** : الشقق السكنية تتحول عند النوم إلى صندوق إذا أُقفل بابها ، وذات مرة بُلِّغنا بحادث حريق في شقة في الدور الثالث مطلةٍ على شارع ، تقطنها أسرة مكونة من زوج وزوجة وأربعة أبناء خلدوا إلى النوم بعد قفل باب المطبخ ، كان هناك تسرّب من أسطوانة الغاز الذي ظل يتراكم وهم نيام ، وقبل صلاة الفجر استيقظ الرجل؛ استعدادًا للصلاة ، فعرَّج إلى المطبخ ليشرب كأس ماء ، فتح الباب وفتح زر مصباح (لمبة) الإضاءة ، وبمجرد فتحه اشتعل الحريق بفعل شرارة الكهرباء التي يغفل عنها الكثيرون ، ومعروف الغاز بضراوته.

حاول الرجل أنْ يسيطر على النار التي عمَّتْ المكان بسرعة لكن دون جدوى، حيث سرتْ النار بسرعة إلى الغرفة المجاورة التي فيها الأبناء الذين كانوا يغطُّون في نوم عميق ، أسرع الرجل إلى قفل القاطع الكهربائي فسادت الظلمة مع كثافة دخان عالية والحريق يزداد اندلاعًا، حاولت ربة البيت البحثَ عن مفتاح الشقة الذي كان ضمن مفاتيحها فلم تسعفها الذاكرة أين وضعته، تعالت صيحات الاستغاثة .

أحد الجيران اهتدى إلى الإبلاغ عن الحريق ، تبلَّغت عمليات الدفاع المدني بالحادث، انتقلت الفرقة التي كان همّها الأول إنقاذ الساكنين، كسرت الباب وتم دخول الشقة قسرًا ، وبحسٍّ رجال الإطفاء أسرع أحد أفراد الطاقم إلى المطبخ لإغلاق تدفق الغاز ، وتعامل الباقون لمكافحة الحريق ، وآخرون لإخراج أفراد الأسرة الذين كانوا على درجة عالية من الإعياء ، كان الأب قد أصيب

بحروق والمرأة في حالة إغماء ، ومن لطف الله بهم أنْ تجمعوا في غرفة لم تصل النار إليها بعد ، وكانوا يستعينون برشِّ الماء بالسطل على حوافها؛ كي لا تصلها النار.

وما نود أنْ ننبه إليه لمثل هذا الحادث أن الشقق تتحول إلى صناديق مغلقة إذا حدث حريق ، فلا حظَّ لهم بالهرب ؛ لأن الذاكرة يصيبها شيءٌ من الشلل عند وقوع الحريق المفاجىء ، فقد ينسى الإنسان أين وضع مفتاح الباب ويظل هلعًا يبحث عنه ، وفي هذه الأثناء يزداد الحريق ويزداد معه القلق والتوتر والخوف من التهام النار.

وشاهدنا هنا : أن يكون في حسابنا وضع مفتاح الشقة الرئيس في مكان معلوم للجميع ؛ ليسهل الوصول إليه كوسيلة لإنقاذ الأرواح ؛ لأن الحريق لا يهمل حتى يجد مفتاح الباب أو يتذكر أين وضعه ، عندها تزداد الربكة ويستولي على الإنسان الهلع ويعُمّ البأس من النجاة ، حيث تخور قوى الإنسان مصابًا برعب شديد ، فيقع صريعًا مغشيًّا عليه.

❋ ❁ ❋

حادث إنقاذ منـــزلي

ذات مساء وقع حادث انهيار منـــزل مبني من الطين إثر أمطار غزيرة(*)، وكان ربّ الأسرة قد خرج ليتفقد جيرانه ، وما إنْ خرج من المنـــزل حتى انهار بيته وبداخله عياله ، فرجع مسرعًا منهارَ الأعصاب هو أيضًا إذ كان واضحًا أن أولاده قضوا نحبهم تحت الركام.

أحد جيرانه بادر بإبلاغ غرفة العمليات عن الحادث ، وتم الانتقال السريع على حسْب معطيات البلاغ ، كان الرجل مُغمىً عليه من هول الكارثة التي حلتْ به وحوله جيرانه يواسونه ويحملون الهمَّ معه ، فما إن وصلت فرقة الإنقاذ حتى هبَّ الرجل من غمغمته مستنجدًا ولائمًا ، إذ تراءى له أن الفرقة تأخرت عن الوصول ، وكان في حالة أقرب إلى الهستيريا وفقدان الاتزان ، أبدينا تعاطفنا مع الرجل وحاولنا امتصاص لومه ، فهو معذور إزاء نكبة ألمت به ، الواضح فيها أنه فقد أهله زوجه وأولاده، ومن لطف الله بأهل البيت أن الرجل استفاق ليقول: إن البيت لا يوجد فيه سوى إحدى زوجاته فقط.

وبالفعل جرت مجريات التعامل مع الموقف وفق خطة بحث لرصد نبض أنفاس الأحياء تحت الركام ، حيث رصدنا نبض

(*) نورده للعبرة فقط.

أنفاس تحت الأنقاض ولكن لا نعلم إنْ كان نبض إنسان أو حيوان فكلاهما نبض، وبعد تحديد موضع النبض جرى الحفر بحذر، وبعد وقت بدا لنا رأس امرأة وشعرها ، مما ألهب حماس الأفراد للاجتهاد في استخراجها حية فأتوا بالرجل ليتولى سحبها من بين أكوام الطين، فما إنْ شاهدها حتى صاح مسبِّحًا ومهللاً .

خاتمة الموقف: إن المرأة كانت على قيد الحياة ، قابعة تحت عارضة من عوارض السقف الخشبية مرتكزةً من أعلى إلى أسفل سمحت بدخول شيء من الأكسجين ، كانت تتنفسه وقد ألهمها الله بأنْ تضع خمارها على أنفها لتتقي الغبار والأتربة تحت الركام ، وهكذا كتب الله لها حياة جديدة.

شاهدنا في الأمر: أن الإنسان عليه أنْ يقدِّر أحواله التي يعيشها، فهذا الرجل وغيره يعرفون أن الخطر يحيط بهم جراء أمطار غزيرة ، فكيف لا يتدبر الأمر ويتوقع الأسوأ ؟!

وعلى أيّ حال لقد انقلب الموقف من لوم باكٍ إلى فرح باسم ، متأسفًا على ما بدر منه.

❋ ۞ ❋

الخاتمة

السلامة محور البقاء ونبض الحياة وأداة حراكها ومناط مناشطها ، هي نعمة من نِعَم الله على عباده التي أسبغها عليهم لا تُحصى ولا تُعدّ ، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾[1] بالشكر تزيد ﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾[2]

وشكر نعمة السلامة يستلزم قيام أصولها وتوظيفها وفق معايير قواعدها لتستقيم الحياة على قائمتها ، فالصحة والعقل والمال والاستقرار والأمان وغيرها وغيرها مركزها سلام ، ينالها الإنسان إذا بلغ جهده وأجهد نفسه متوكلاً على الله في بلوغ مرادها، فمنْ توكل على الله فهو حسبه وكافيه من شرٍّ يصيبه أو عنت يرهقه ، وفي إطار نِعَم الله الجمَّة تأتي السلامة نهج شرعي ، مكلف بلزوم أسبابها ، واحتواؤها ضرورة فطرية، والحث عليها مقصد من مقاصد الشريعة ووقاية من خلل يبعث على قلق ويُورث توترًا وأرقًا وعناءً من شرٍّ محيط ودرء لحادث وشيك ينوء به الكاهل ويثقل العاتق أو يكسر الخاطر.

في السلامة يحيا الإنسانُ حياته آمنًا ، وعلى مقومات بقائه مطمئنًا من عطب أو عطل أو هلاك ومقتل.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٨.

(٢) سورة إبراهيم، الآية : ٧.

إنها السلامة تغدو بها –بإذن الله– سالمًا وتروح بها بقدر الله غانمًا ، فمنْ أمنها أمن ومنْ أوجدها مستعينًا بالله أعانه ، ومن استعاذه من خطر أعاذه ، فهي أصلٌ لكل الأصول ، وهي ركن كل الأركان التي تقوم عليها حياة الإنسان ، تسقى بريها حياضات الحياة وعناصر العيش، فما دمتَ لها راعيًا كانت لك خادمًا، هي فاتحة خير ومغلاق شرٍّ من غوائل المحدثات، نعمتها لا تُقدَّر بثمن وقيمتها لا تساوي أقيامًا .

هي مرتكز ترتكز عليها سلامات وتتوقف عليها مقامات ، يجيء المنـــزل على قائمة محاورها وحياضى من حياضاتها ، ويكفي أنها مشتقة من السلام ، وهو اسم من أسماء الله تباركتْ أسماؤه ، فامسكها باسم الله متوكلاً وبقدرته استعن على قدرته ، فالحوادث قدر دفعها بالأسباب.

<u>ففيها:</u>

- ضمانة من خطر.
- وقاية من مُضر.
- أمان من ندم.
- حصن من ألم.
- اطمئنان من قلق.
- حماية من حدث يوشك أنْ يقع لا تحمده.
- اركن إليها بموجبها وباسم الله باركها بضوابطها ، فبقدر ما تكون لها فاعلاً تكون لك مفعولاً.

لا تنسَ أن السلامة منشط حياتك ومفتاح معاشك لا تتجاهلها ، بل استيقن حقيقتها ، ففي كثير من الأحيان تبدو كأنها حقيقة غائبة تذكر عندما تحل الحوادث ، وتغيب مع غيابها.

فلا تكُنْ في غيبة بل اجعلها حاضرة في مستقرك وظعنك ، في حركتك ومستظلك ، وفي طلب رزقك وتحصيل قُوتك ، في بيتك وموئل سكنك، في نفسك ومنْ تعول، فحديث رسول الله ﷺ يحثك على هذا ، يقول: "**ابدأ بنفسك ثم بمنْ تعول**"[(١)]

وهو توجيه شامل لمعاني الدين والدنيا.

حقيقة غائبة: لا يغيب عن بالك أبدًا أنك في مأمن من حوادث تضحى بها حسيرًا وبوقعها أليمًا.

فالحياة غالية وغلاها صونْها من بوار الأحداث ، فلا يشغلك عن التصدي لها شاغل ، أو يفوتك عنها فوْتٌ يفوّت عليك جمالها وتقعد بها مهزومًا هزيلاً قعيدًا ، فلا أمانَ للحوادث إلا بأسبابها والتوكل على الله بها ، فتلك حقيقةٌ يجب أنْ تُوضع في بؤرة التفكير وحاضر الذهن .

❋ ❀ ❋

---

(١) رواه النسائي.

فهرس المحتويات